تشييع عبد المحسن السعدون كما يصفه علي الشرقي

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2194) السنة الثامنة
الإثنين (18) تموز 2011

6

محمد القبانجي مطرب العصر واستاذ المقام

تشييع عبد المحسن السعدون كما يصفه علي الشرقي

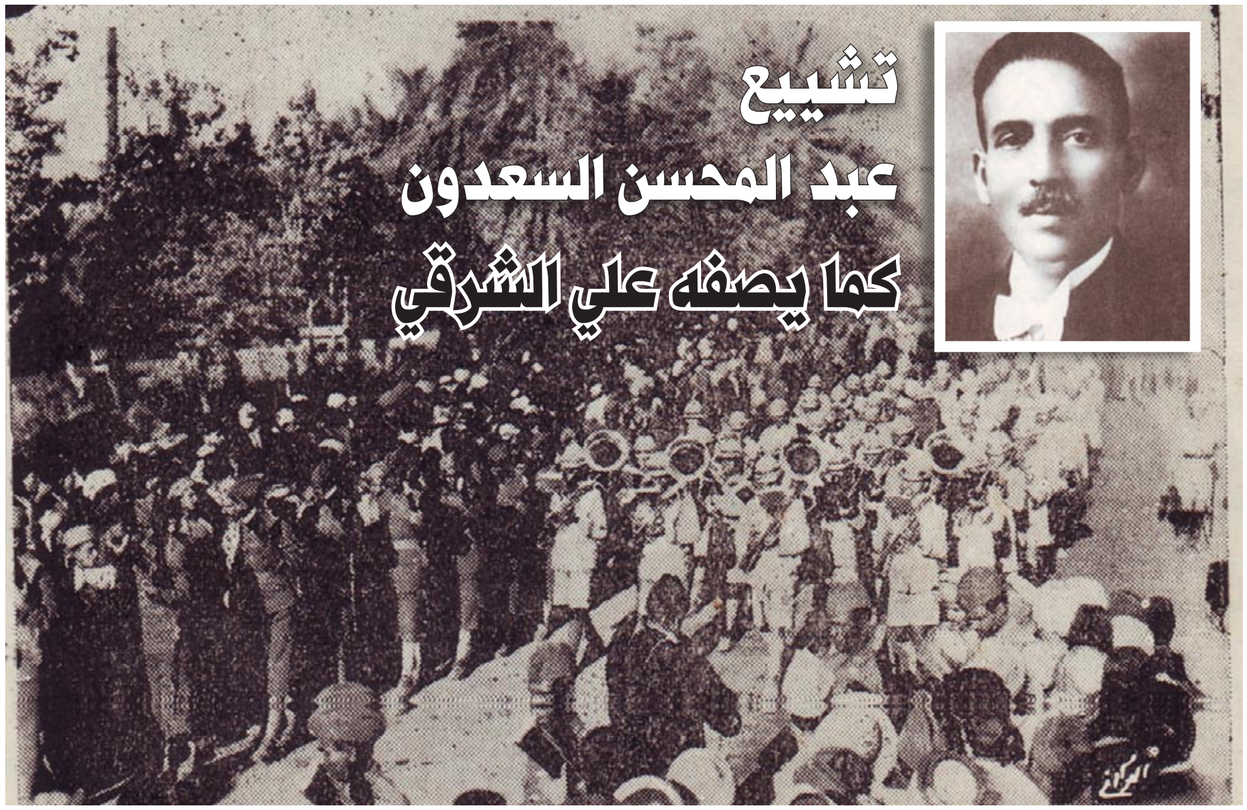

مظهر من محشر الامة متجهة الى دار الفقيد

موكب التشييع او محشر الامة

نصفان بغداد فنصف محشر ساحاته اكتضت ونصف بلقع ما طلعت شمس الخميس المروع الا وطلعت معها ورقتان مللجتان بالسواد تخاطفهما الناس فلم ار أحدا الا واحدى الورقتين مرفرفة ذعرا واندهاشا بيده فكأن الناس مسكوا على قلوبهم المذعورة بايديهم ورقة منشور جريدة العالم العربي التي كانت تنفخ في الناس نارا وورقة منهاج مراسيم تشييع جثمان فقيد الامة التي اذاعته الحكومة وسرعان ما اغلقت العاصمة اسواقها واخلت دورها وعطلت مدارسها وصدرت الارادة المطاعة بتعطيل الدواوين والدوائر ووقف كل عمل بذهول وارتياح الا عمل واحد هو تدفع سيل الجمهور الكئيب الى اتجاه دار الفقيد العظيم ونكس العلم العراقي الخافق حزنا وشاركت الدول الاجنبية الحكومة العراقية وشعور الامة في اظهار شعور الحزن وشعار الأسى فنكس الوزراء المفوضون والممثلون السياسيون والقناصل اعلام دولهم. عج الشعب فازعا الى الطرق المؤدية الى دار الفقيد والى الحضرة الكيلانية التي تقرر ان تكون المقر الاخير لبطل العراق فكانت الحفلة تدل على شعور حار وأسى عميق.

جمهور لايقل عن ٢٠٠٠٠٠ نسمة نظمه الخشوع وعلته السكينة ورتبته الوطنية الصادقة ليس فيه جلبة الا صدحات الموسيقى الحزينة وصفير الحسرات الحارة وحسيس نبضات القلوب الواجفة وسح قطرات الدموع وقد قام المجاهون وهم في طليعة الموكب المهيب احسن قيام وهكذا تألف الموكب. رجال الجيش فرسانا ومشاة منكسة البنادق وضباطهم فامراء الجيش العراقي وضباط الشرطة وتلامذة المدرسة الحربة فاعيان العاصمة واشراف الاقاليم والنواحي المجاورة للعاصمة وبقية العلماء ورجال الدين واعضاء مجالس ادارة اللواء والبلدية وغرفة التجارة فاعيان الجاليات الاجنبية فممثلو النقابات والمهن ورجال الصحافة والمحامون والاطباء واصحاب المهن الاخرى الحرة فعدد غفير كبير جدا من سائر الطبقات وكانت ثلة من الشرطة في مؤخرة موكب الجنازة الذي لم تكن العين تدركه ولما بلغ النعش العطفة المؤدية من الشارع العام الى الشارع المؤدي الى الحضرة الكيلانية اوقف حضرات المحامين عربة النعش ثم حملوا نعش صريع الوطنية الخالدة على اعناقهم بالتناوب بين البكاء والعويل حتى بلغوا باب الحضرة الخارجي فانزلوا النعش وادخلوه ساحة الحضرة حيث احتشدت الجموع ووقف الشيخ زامل ال مناع احد نواب المنتفق ومن كبار رجالهم مؤبنا فالقى خطبة حماسية والقى حضرة عبد الله بك ثنيان نيابة عن المحامين خطبة بليغة قال فيها:

ايها الراحل العظيم عبد المحسن بك السعدون ان مجازفتك بحياتك في سبيل وطنك وبلادك لهي الشاهد العدل والدليل

القاطع انك رجل عظيم فنم بسلام فانت في ذمة الله والتاريخ. وصلي على نعش الفقيد وعاد حضرات المحامين فحملوا جثمان الفقيد الى حيث ووري بالبكاء والعويل وبين طلقات المدفعية التي اطلقت اجلالا وتعظيما للرافد.

الكتاب الاحمر للقضية العراقية او الوصية التاريخية

ولدي وعيني ومستندي علي:

اعف عني لما ارتكبته من جناية، لاني سئمت هذه الحياة التي لم اجد فيها لذة وذوقا وشرقا، الامة تنتظر الخدمة، الانكليز لايوافقون، ليس لي ظهر، العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون وبعيدون عن الاستقلال، وهم عاجزون عن تقدير نصائح ارباب الناموس امثالي، يظنون اني خائن للوطن وعبد للانكليز، ما اعظم هذه المصيبة، انا الفدائي الاشد اخلاصا لوطني قد كابدت انواع الاحتقارات وتحملت المذلات، محضا في سبيل هذه البقعة المباركة التي عاش فيها ابائي واجدادي مرفهين:

ولدي نصيحتي الاخيرة لك هي:

١- ان ترحم اخوتك الصغار الذين سيبقون ينامي(وتحترم والدتك) وتخلص لوطنك.

٢- ان تخلص للملك فيصل وذريته اخلاصا مطلقا .

اعفني يا ولدي علي

١٣-١١-٢٩

عبد المحسن السعدون

وقد وقع في ذيل الكتاب كل من فخامة ياسين الهاشمي وفخامة ناجي باشا السويدي ومعالي خالد بك ومعالي عبد العزيز بك القصاب وسعادة جميل بك المدفعي متصرف لواء بغداد وسعادة محمد سليم بك مدير الشرطة العام الذين حضروا الى دار الفقيد على اثر وقوع الفاجعة شاهدين على ان هذا الكتاب وجد على منضدة الزعيم الراحل في مكتبته الخاصة وهو مكتوب بخط الراحل العظيم.

مأتم الامة وحداد البلاد

شمل الحزن العاصمة وكانت مدينة بغداد مأتما عاما يوم الخميس وليلة الجمعة وليس هناك قلب لم يشترك في الجرح وبدت شارات الحداد فكانت في النهار غلق الاسواق وتعطيل الاعمال ورفع الاعلام السود على المقاهي والحوانيت ورفعت كل مدرسة علما اسودا كتبت عليه عبارة تدل على حزن عميق وكانت في الليل وحشة وسكون ومسارح فقد سكنت تلك المعازف وخرس الحاكي وسدت دور اللهو ومسارح الرقص والتمثيل والسينما حدادا ولم تشاهد بغداد ليلة خرساء موحشة مثل تلك الليلة وصدرت الارادة الملكية المطاعة بتعطيل جميع الدوائر الرسمية في يوم الخميس واصدرت وزارة الداخلية امرا بتنكيس العلم العراقي المحبوب في كل دوائر القطر العراقي حدادا.

واقيم مأتم رسمي في ديوان فخامة رئاسة الوزراء فقد صدر بلاغ رسمي جاء فيه (ابتداء من يوم السبت ١٦ تشرين الثاني الى يوم ١٨ تشرين الثاني سيفتح دفتر خاص في ديوان رياسة الوزراء لتسجيل اسماء الذوات الذين سيقومون بواجب التعزية للحكومة) وجعل ديوان رئاسة الوزراء بالسواد ثلاثة ايام.

اما بيت فقيد البلاد فقد اصبح بيت الامة العراقية يتموج بالشعب العراقي المفجوع وقد اخضلت حجارته بالدموع ومسحت اركانه بالقلوب الحزينة وعقد حزب التقدم جلسة كئيبة في عصر الجمعة واعلن الحداد وفي يوم السبت عقد مجلس النواب جلسة حداد مهيبة فلم تكن ترى في المجلس غير شارات الحداد ولم تسمع الا اصوات البكاء وكان مقام الرئاسة ومقاعد الوزراء مجللة بالسواد وقد نصب رسم الفقيد العظيم في المحل الذي كان يجلس فيه المرحوم وقد احيط الرسم المبارك بشارات الحداد واكاليل الزهور وفي الساعة المضروبة فتحت الجلسة فتعالت اصوات البكاء والعويل في جميع صفوف النواب وشرفة المستمعين بحيث ان المجلس اهتز اهتزازا وتقرر ان يقف النواب وقفة الحداد فوقف الجميع "النواب والمستمعون" حدادا في سكوت عميق وانتهت الجلسة وصدرت الارادة الجليلة باسناد رئاسة الوزراء الى فخامة ناجي باشا السويدي وجرت حفلة استيزار صامتة وباكية ورغب صاحب الجلالة بمناسبة الفاجعة ان تتلى الارادة بدون مراسيم وقرر الوزراء ان لايقبلوا التبريكات وان يزور واضريح الفقيد العظيم بعد تلاوة الارادة وهكذا توجهوا توا الى مقر الفقيد وكان اعضاء حزب التقدم ومعظم النواب من الاحزاب مجتمعين وبعد قراءة الفاتحة تقدم فخامة ناجي باشا الى الضريح الكريم والدموع منهمرة والزفرات تكاد تقطع عليه الكلام وفاه بما خلصته جريدة العالم العربي:

(ايها الراحل الكريم اتقدم الى ضريحك العزيز اتقدم انا ورفاقي الذين كانوا يحيطون بك احاطة الهالة بالقمر وهاهم يحيطون الا يحكن بضر

مثل نجوم فقدت بدرها

او كنظام فقد الواسطة

وقلوبهم كسيرة تخفق حزنا على ما اصابهم بفقد رئيسهم الاعظم وانا واياهم نفسم على ضريحك الطاهر باننا سنضع تضحيتك العظمى نصب اعيننا لتكون لنا منارا نستهدي به في سبيل المبادي السامية التي ضحيت نفسك من اجلها فنم مستريحا انك ستحيا وتحيا مبادؤك.

وفد البصرة يضع الاكليل على ضريح الزعيم العظيم

وفد كربلاء يضع الاكليل على ضريح فقيدالامة

وفود الجهات وحملة الاكاليل

لم يكتف الشعب العراقي النحيب ان امطر العاصمة بوابل البرقيات النارية حزنا وجفلة واقام المآتم في طول البلاد وعرضها وناحت منابر مدنه وحواضره بطل التضحية ولكن مدنه المهمة جعلت توفد الوفود للطواف بضريح الفقيد العظيم يحملون الاكاليل واول ما جاء وفد كربلاء يحمل اكليلا باسم لواء كربلاء وآخر وقد كان وفد الموصل الذي حمل اكليلا باسم الموصل واكليلا باسم محامين الموصل وفاضت رجال الوفد بالخطب المفجعة التي سئبت بعضها تحت عنوان "منبر السعدون".

اجتماع المحامين ومقرراتهم

اجتمع محامو العاصمة اجتماعا وطنيا حارا وكئيبا وبعد البكاء وندب الفقيد العظيم انتخبوا "لجنة تخليد ذكرى السعدون" واقررت اللجنة:

١. اقامة حفلة تأبينية في يوم الاربعين.

٢. تسمية الشارع المؤدي الى بيت الفقيد باسم "شارع السعدون"

٣. السعي لدى الحكومة في استملاك دار الفقيد على ان يكون القسم الخارجي بيتا للامة والداخلي لسكنى عائلة الفقيد ومراجعة الحكومة لتخصيص راتب ممتاز لعائلة الفقيد.

٤. السعي لدى العائلة في الاحتفاظ بملابس الفقيد وما استعمله من الادوات حين وقوع الحادثة وتحرير الوصية التاريخية لتكون ميثاقا وطنيا.

٥. السعي في جمع تبرعات من كافة العراقيين لاقامة تمثال للفقيد العظيم وتوالت اجتماعات اللجنة وثابرت على اعمالها متأثرة بألم الحزن ولذة الجهاد الوطني.

عن كتاب السعدون لعلي الشرقي

الصحافة الشيوعية السرية

كريم احمد الداوود: صحافة حزبنا تعكس الاهداف الوطنية والطبقية للجماهير

كريم احمد الداوود غني عن التعريف، فمنذ نعومة أظفاره كرس جل حياته للدفاع عن قضية الشعب العادلة، انخرط في صفوف الحركة الشيوعية، عندما كان في دار المعلمين الابتدائية في بغداد عام 1945، وشق طريقه في النضال تحت راية الحزب الشيوعي العراقي، تدرج في التنظيم ليصبح عضوا في اللجنة المركزية في عام 1945 وسكرتيرا منتصف عام 1954.

دخل السجن بداية عام 1955 ، وقضى مدة سجنه وابعاده في سجن بعقوبة الانفرادي والسجن المركزي وبدرة وجصان البالغة ثلاث سنوات ونصف السنة. وكانت هذه الفترة من أسوأ الفترات التي مرت على احركة الوطنية، اضطهادا وتنكيلا ضد العناصر الوطنية والتقدمية، احتفظ بعضوية اللجنة خلال هذه الفترة.

حمدي فؤاد صالح العاني

كريم احمد الداوود

وبعد ثورة ١٤ تموز اطلق سراحه من بدرة وجصان، التحق في ركب النضال الوطني والطبقي، احد قادة الحركة المسلحة في شمال العراق، بعد انقلاب ٨ شباط الاسود، مناضل من طراز خاص، عضو في المكتب السياسي في السبعينيات سكرتير الحزب الشيوعي الكردستاني في التسعينيات.

كما كان من قادة الحركة الاعلامية في الجهاز السري للطباعة لجريدة ازادي، ابن مدينة كويسنجق البطلة، التقيناه ليتحدث لنا عن الصحافة الشيوعية السرية.

– من مستلزمات قيام الحزب ان يكون في المقدمة لديه جريدة، العدد الطبقي لديه ما لا يحصى من الوسائل الاعلامية اذاعة وتلفزيون، وصحافة ، تنظيمات ادارية، جوامع ، ومنابر عديدة.

والحزب الشيوعي العراقي وسيلته الاعلامية، في جريدته السرية الوحيدة.. ولكن هذه الصحيفة ماذا تعبر؟

تعبر عن افكار واتجاهات مواقف سياسة الحزب التي ترتكز على برنامج الحزب، الذي يعكس الاهداف الوطنية والطبقية، للدفاع عن مشاكل الجماهير وحلها، وهذه الجريدة كانت تطبع بآلة طبع (رونيو).. جريدة الشرارة كانت تطبع بهذه الطابعة، بعد ذلك استطاع الرفيق (فهد) ان يحصل على مطبعة من ايران (مطبعة صغيرة تدار باليد). هذه المطبعة كانت تطبع جريدة "القاعدة" التي اسسها الحزب بعد ان استولى على جريدة الشرارة عبد الله مسعود القريني، هذه الجريدة كانت تصل الى اقصى قرية فيها بذرة شيوعية، حتى اصدقاء الحزب.

× من يقوم بطباعة هذه الجريدة؟

– رفيقان او ثلاثة، ومطبعة الحزب مصانة في اماكن يدرس الحزب صلاحيتها بكل دقة من حيث ملاءمتها، والرفاق المكلفون بهذه المهمة يتحولون الى هذا البيت ويبدأون العمل، الجريدة كانت توزع باشكال مختلفة وباساليب متنوعة لتصل من المطبعة الى مركز التوزيع، فمثلا لدينا بايسكل (دراجة هوائية) وخلف الدراجة صندوق يملأ هذا الصندوق بالصمون مع الجريدة، نبيع الصمون وتوزع الجريدة الى مراكز التوزيع.

صوت الشعب
عهد الوزارة السابقة
انقلاب هادئ في عهد البلاد
سوانح

× من يحرر مواد الجريدة ؟

– تكلف الرفاق بالكتابة، ونختار من يستطيع منهم وعرض سياسة الحزب ومواقفه بشكل جيد، كنا احيانا بـ (٤) صفحات بينما كانت تحتوي على مواد تشغل حيزا لجريدة علنية.

× ما محتوى هذه المواد؟

– فيها مشاكل الناس، مشاكل العمال، مشاكل الفلاحين، والطلبة والكسبة ومطالبهم، بالاضافة الى القضايا السياسية الملتهبة ومواقف الحزب من الاوضاع العامة، وفضح الحكم الملكي الموالي للاستعمار ومسايرته لمصالح الاقطاعيين والبرجوازية الكومبرادورية.

اربيل عام 1946

مثلا عام ١٩٤٦ في اربيل وصل الينا بيان بـ(٣٠٠) نسخة، وهذه الكمية قليلة جدا، وزعناها انا والرفيق عزيز محمد ورفيق آخر.. اخذنا خارطة اربيل، كل واحد منا اخذ حصته من هذه الاحياء، وبدأنا التوزيع، بحيث شملت كل اربيل، تصور الناس اننا وزعنا الالاف منها ولكنها هي (٣٠٠) نسخة، وصباح ليلة التوزيع جن جنون الشرطة وقال احدهم: هذه طيارة سوفيتية وزعت هذا البيان، اهالي اربيل كلهم يتحدثون عن توزيع الحزب.

القاعدة الحزبية هي الاساس

اذن الخلايا او القاعدة الحزبية هي التي كانت تقوم بايصال الجريدة، بايصال سياسة الحزب الى الناس، ولولا قاعدة الحزب لما استطعنا ، توزيع نشريات الحزب الا بشكل محدود.

والقاعدة الحزبية هي التي تزود الجريدة بالمعلومات، كل خلية في كل اجتماع تبحث مشاكل الناس في محيطها، وترسل رسالة مختصرة عن هذه المشاكل الى الجريدة.

وتحرير الجريدة يتم من قبل سكرتير الحزب عموما. احيانا الرفيق حسين الشبيبي كان يكتب عن الجبهة وعن مسائل معينة، والرفيق زكي بسيم يكتب عن المسائل التنظيمية، ويتناول المقالات الافتتاحية والمقالات الاخرى، كلها تقريبا تحرر من قبل الرفيق (فهد)، ولذلك دأب الحزب على هذا المنوال فاذن الجريدة لسان حال الحزب، والجريدة سرية ومن تصل اليه "الجريدة" يتصل بمنظمة الحزب، بقاعدة الحزب، بخلية الحزب، فاذن الاساس تنظيم الحزب ولا يمكن وجود جريدة بدون هذه القاعدة.

وانا كنت اوزع جريدة عصبة مكافحة الصهيونية (العصبة) في بغداد. خصصوا لي مسافة بين الحيدرخانة ووزارة الدفاع، في هذه المنطقة كنت اوزع الجريدة بعد ان امتنعت المكتبات من توزيعها والحزب كلف منظماته بهذه المهمة، وكافة المنظمات كانت متهيئة للتنفيذ، انهض من الصباح الباكر اوزع الجريدة (العصبة) وبعد ذلك اذهب الى دار المعلمين الابتدائية.

الانسان هو العامل الاساس في تنشيط دعاية الحزب.

جريدة الحزب كلها تطبع بهذا الطبع في العمل السري، وقليلة هي النشاطات العلنية في سنة ١٩٤٦.

عصبة مكافحة الصهيونية، كانت واجهة الحزب الاعلامية ونشر في جريدتها الكثير من الموضوعات المهمة مثل مستلزمات كفاحنا البطالة – احيانا نلتجئ الى اشخاص ديمقراطيين لديهم جرائد وصحف، فنعبر من خلالها بعض المقالات التي يكتبها الرفيق (الخالد فهد) او الرفاق القياديون انذاك.

الحزب 1949

بعد الضربات القاسية على الحزب وتنظيماته، كنا نكتب الجريدة باليد "استنساخ" كانت جريدة "الصراع" في زمن حميد عثمان، وكنا نرسل لكل منظمة نسخة واحدة منها، وهم بدورهم يستنسخونها، والخلايا ايضا تستنسخ وهكذا.

كنا نتعامل مع هذا الموضوع الخاص في كل الظروف. كانت هناك جريدة ، بشكل معين، وان دل على شيء فانما يدل على حيوية الحزب وديناميكيته وهذه الديناميكية هي التي ابقت الحزب حتى الان، ولولا هذه الروحية النضالية العالية لقضي على الحزب من زمان.

بصراحة لايوجد حزب في العالم الا القليل، عاني، مثل ما عانيناه من السرية، من العنف، من الاعدامات، من التعذيب، من الحرمان، وسر بقاء الشيوعيين هو هذا التراث الغني، الذي يجب ان يدرس بشكل خاص.

كل حزب شيوعي في العالم، يجب ان يدرس تاريخ الحزب الشيوعي العراقي.. حتى الروس، بعد حل الاتحاد السوفيتي بدأوا يدرسون تجربتنا في العمل السري. انها بحق تجربة غنية وثمينة.

نحن حزب قدمنا تجربة غنية لتاريخ الحركة الشيوعية، فلذلك، صحافتنا لسان حالنا، هذا اللسان يمكننا ان نفهم الناس، ان نصل اليهم، ان نتكلم عن معاناتهم ان نوجه الناس كيف تحقق حقوقها؟ كيف تحقق اهدافها؟ مستحيل على الشيوعي الجيد ان يفكر بمصلحة خاصة، اهذا نقص كبير وخطأ، لان هذا التفكير، نعتبره، نحن الشيوعيون مصلحة الناس، في مقدمة المسائل الاخرى المصلحة الخاصة تضعها بعد مصالح الناس. وبدون ذلك لا يمكن ان يقوى الحزب.

وماذا عن توزيع الجريدة؟

– كانت لدينا مشكلة النقل، الطرق مراقبة، وامتعة المسافرين ان كانت في السيارات او في القطارات خاضعة للتفتيش فلابد من ان تحمل عددا معينا من الجريدة، تستطيع ان نخفيه عن انظار رجال الامن، فالحقيبة فيها (قاطعان) قاطع جرائد ونغطيها بشكل فني، والقاطع الاخر للملابس.

قنفات وكنتور ومطبعة رونيو

اتذكر في عام ١٩٥٣، ارسلنا الرفيق (سلام عادل) الى البصرة، ليقود المنظمة الجنوبية ، عقدنا قرانا له على ام ايمان ثيئة اشترينا له قنفات وكنتور وحاجيات اخرى ووضعنا معها مطبعة الرونيو، ووصلت الى البصرة بسلام، وطبع اول بيان فيها مساندة لاضراب عمال النفط انذاك، بهذه الصورة كنا نتعامل مع التقليات.

وكنا نطبع ، (٣٠٠) نسخة من الجريدة عامي ١٩٥٣– ١٩٥٤ وكانت تعمل الى ايدي كل الرفاق والاصدقاء، وكان الحزب حزب الشيوع، نتيجة نشاط القاعدة الحزبية. وهي تقوم بمهامها على الوجه الاكمل ، الخلية الحزبية هي قائدة في مجال عملها قائدة حقيقية، والناس كانا يتعرفون على نشاطات الرفاق.

مطبعة متقدمة حروفها فارسية

في عام ١٩٥٣ حصلنا على مطبعة اكثر تطورا متقدمة حروفها كانت فارسية سميكة قبل ذلك كانت الحروف ناعمة بولد (١٢) والحروف الفارسية كانت (خشنة). المطبعة القديمة التي حصلنا عليها ايام الرفيق فهد من حزب (تودة) انتهت بالقاء القبض على (مالك سيف) وقبل الحصول على المطبعة التي ذكرتها انفا، كنا نطبع (بالرونيو) وهي غير مستحبة بالنسبة لحزب شيوعي سمعته ونشاطه ومكانته...

× هل تتذكر الطباعين من هم؟

– كان الرفيق صبيح سباهي، ومحمد صالح العبلي، والرفيق احمد في الخمسينيات، وعام ١٩٦٤ كان الطباع الوحيد حساني.

× هل توقتون الطباعة في يوم ما؟ ورجال الامن يوقتون انتظار الجريدة ليراقبوا الشيوعيين؟

– لم تحدد وقت الطباعة، اذ لو كان هناك توقيت فرجال الامن يستنفرون كل قواتهم، لذلك فايام طباعة الجريدة والوقت يتوقف على مواد الجريدة والاحداث الجارية

× هل كنت مسؤولا عن وكر طاطران؟

طاطران ليس وكرا، بل بيتا يسكنه الرفيق عبدالله علك، وزوجته واطفاله، عائلة مندائية، فكنا نلتقي هناك، افراد من منظمة بغداد، وكان للمنظمة مكان آخر، واجتماعات قيادة منظمة بغداد كانت تتبدل من بيت الى آخر.

× ماذا عن النشاط الاعلامي للحزب بعد ثورة تموز ١٩٥٨؟

لم نحصل على امتياز جريدة في الاشهر الاولى من الثورة، ولهذا كنا نلتجيء الى طبع بيانات الحزب ونشر المقالات في الصحف العلنية (صوت الاحرار) البلاد والزمان وغيرها وحصلنا على اجازة طبع (اتحاد الشعب) علنا في كانون الثاني ١٩٥٩ واستمرت علنية لمدة حوالي السنتين واغلقها الشهيد عبد الكريم قاسم، نتيجة ضغط المفاوض الانجليزي عن شركة النفط.

× وماذا بعد ذلك؟

حاول الحزب اصدار جريدة كفاح الشعب، صاحب امتيازها الشهيد محمد حسين ابو العيس، غير انها منعت ايضا، ولذا اصدر جريدة (طريق الشعب سرية) وفي هذه الفترة جرى تبديل اسم جريدة ازادي الكردية الى جريدة (ريكاي كردستان).

تجربة الاعلام السري في الجبل

× كيف كنتم تديرون مطابعكم ونشرياتكم؟

– النشريات تحولت الى الجبل، صحافة الحزب، انتقلت الى مناطق (البيش مركة) وكانت اول الخطوات التي قام بها الرفيق ممتاز الحيدري عام ١٩٦٣، انه نقل المطبعة الى الجبل، وكنا نختار اماكن معينة ملائمة (كهف).

بعد ان توطدت علاقتنا مع الثورة الكردية استطعنا ان نبني غرفة خاصة للطباعة في (لوه كرد) قريبا من كويسنجق واخترنا بعض المناطق، بعيدة عن العدو، وقريبة من مقر البرزاني. نشرياتنا، كانت تطبع في هذه المطابع وعلى الرغم من الانصار والمدن وكافة المحافظات بما فيها بغداد باللغتين العربية والكردية، كانت عندنا مطبعة علنية، كنا نمارس عملنا ونشاطاتنا بشكل علني وكانت مطبعة الرواد من اكبر المطابع في بغداد.

بعد ذلك تحولنا الى العمل السري، بعد انفراط عقد الجبهة في العراق عمل في تحرير صحافتنا عبد الرزاق الصافي، فخري كريم ومهدي عبد الكريم الدكتور رحيم عجينة ورفيق آخر، كادر حزبي لم يحضرني اسمه.

× ماذا حل بالمطابع التي كانت بالجبل؟

كنت اتمنى ان تجمع في مكان كمتحف لهذه المطابع ولكن لا اعرف اين هي الان مع الأسف، نحن لم نتعلم كيف نؤرشف تاريخ الحزب، بيانات الحزب، جرائد الحزب في اماكن مصونة، بعيدة عن متناول العدو. كنا حتى الرسائل الصغيرة، بيننا وبين رفاق القيادة، كانت تحرق بعد القراءة، بينما كانت هذه الرسائل وثائقا، ولذلك، نحن نفتقر لكتابة تاريخ الحزب لهذه الوثائق، كنا حذرين من ان تقع هذه الرسائل بيد العدو، ولكن لم تكن لدينا خطة لارشفة نشاط الحزب الفكري والاعلامي.

كيف قضى بكر صدقي ايامه الاخيرة؟

عبد الفتاح الباقي

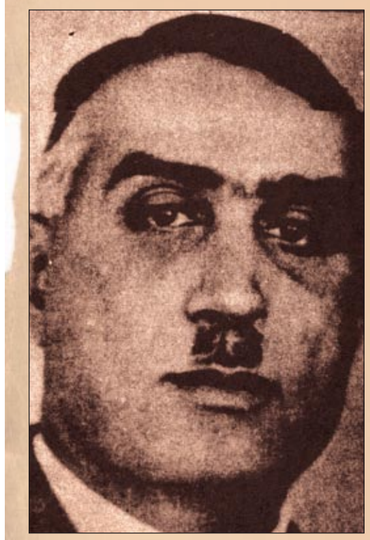

اختلفت الروايات عن ظروف الحادث الذي ادى الى مقتل بكر صدقي وخفيت مقدماته عن القسم الاكبر من الراي العام العربي. ذلك نرى ان ننشر في ما يلي اصح تلك الروايات، وان نلقي اكبر كمية من النور على هذه المقدمات:

لقد عاش بكر صدقي، بعد حادثة الانقلاب، حياة مضطربة يسودها القلق وتملؤها المخاوف، حياة لا نغالي اذا قلنا انها كانت اشبه ما يكون بالجحيم. ذلك انه عندما عاد الى وعيه، بعد الجناية الفظيعة، قذرقيمة ما جنت يداه، وادرك ان مقتل اعظم شخصية عراقية لن يكون سليم العواقب.

فالشعب العراقي باجمعه بكى جعفر العسكري، وفطن الى مبلغ الخسارة التي منى بها عندما خسر ابا الجيش . وشعب العراق ليس خنوعا ليحني رأسه امام الامر الواقع، ولا جبانا لينام على الضيم، فقرر الانتقام لجعفر من قاتله.

اما بكر صدقي فلم تكن هذه الامور خافية عليه، وهو الذي يعلم مبلغ تعلق العراقيين بجعفر. فتأكد له ان هؤلاء جادون في اثره لاغتياله

عند اول فرصة. ولهذا راح يتخذ الاحتياطات العظيمة بتفنن كبير قد لا يمكن الكاتب ان يفيه حقه من الوصف. وكان الاستاذ جبران التويني صاحب جريدة "النهار" قد وصف شيئا من هذا عندما كان في العراق وقابل بكر صدقي يوم ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦ في مكتبه بوزارة الحربية.

اما الاحتياطات التي اتخذها بكر صدقي للمحافظة على حياته فهذا بعضها:

اولا– جعل من داره حصنا منيعا يستحيل على اي كان دخوله بقصد سيء: فعلى سطح هذه الدار مدفع رشاش، وفي الحديقة كلب، وعلى السطح كلب آخر، وفي كل ممر وزاوية حارس لا يغمض له جفن ولا ليلا ولا نهارا.

ثانيا– كان لا يخرج من منزله الا في اوقات مختلفة لا يعلم بها مسبقا احد.

ثالثا– كان لديه سيارتان كل منهما مجهزة بمدفع رشاش، فاذا انتقل من مكان الى مكان استقل الاولى وسير الثانية فارغة وراءه، او استقل الثانية وسير الاولى فارغة امامه. وهو لاينتقي في السيارة مكانا واحدا، بل تراه يركب احيانا في الصدر واحيانا الى جانب السائق، واحيانا محاطا بضباط وحراس.. الى ىخر ما هناك من اساليب اتقنها كل الاتقان لاجتناب كل محاولة يقصد منها اغتياله.

رابعا– كان كثيرا ما يترد الى السهرات والحفلات الراقصة، وقد كثرت في عهده!... ولكنه لم يكن يحضر احداها الا وهو محاط بعدد كبير من الاعوان والحرس يرتدون الملابس المدنية وهم مدججون بالسلاح. فاذا قام يراقص سيدة او غانية!... تحركت اعين هؤلاء الحراس والاعوان تحملق في الحاضرين خوفا على الديكتاتور من يد تغتاله وهو في نشوة المرح.

خامسا– لم يهمل اتخاذ الاحتياطات الفعالة للمحافظة على حياته داخل مكتب عمله في وزارة الحربية. ومن هذه الاحتياطات انه ابعد القواد الضباط العرب الى خارج بغداد واستبدلهم بالكرد الذين كانوا يغارون عليه غيرته على نفسه. لذلك اصبح معظم ضباط المركز ممن لايدينون بالعروبة، فاطمأن باله بعض الشيء.

سادسا– واخيرا وصل في وساوسه الى درجة قصوى، ولاسيما قبيل مقتله ببضعة اسابيع، فقد اشتد به القلق حتى راح ينام كل ليلة في منزل من منازل اخصائه واعوانه حتى يضيع اثره عن عيون مترقبيه.

وكثيرا ما كان يصحب بعض الجنود الكرد ويتوجه بهم الى ضواحي بغداد حيث ينصبون له صيوانا ينام فيه، بعيدا عن ضوضاء العاصمة، آملا ان يعود اليه بعض ما فقده من راحة وهناء... ولكنه كان يعود في اليوم التالي وهو اشد قلقا مما كان..

القباني

محمد القبانجي مطرب العصر واستاذ المقام

يحيى ادريس

محطات مشرقة في حياة القبانجي

في الثاني من نيسان ١٩٨٩ انطفأت حنجرة مطرب الشعب الاول الرائد محمد عبد الرزاق القبانجي، وغادر الحياة وقو راقد على سرير الموت يشاهد الجزء الاول من الحلقة التلفزيونية المخصصة له والتي أعدت وقدمت من التلفزيون في مطلع عام ١٩٨٨.. فكانت مفارقة عجيبة ومؤلمة.. او يودع الحياة وهو يرى نفسه ويقارن بين الماضي المشرق والحاضر المتعب، وكانت جملته الاخيرة التي قالها امامي (احمد الله على ان خدمت المقام والوطن والامانة).

وصدق مطربنا الجليل فقد ضحى بكل شيء من اجل قدسية التراث المقامي. وصانه من ازمة التكسب، ورفع من مستواه ودافع عن محتواه.

وكرس حياته بغية نشر المقام وتحبيبه للجمهور العراقي والعربي. ويمكن القول ان ملاحقة مفردات ومحطات محمد القبانجي لا تخلو من الصعوبة على الرغم من شهرته التي لم ينلها غيره في دنيا الغناء والطرب.

وهذه الصعوبة تكمن في اهماله لتوثيق جهوده المضيئة، فقد ترك امر التوثيق والمتابعة للمتذوقين ولم يحفظ في بيته سوى الدواوين الشعرية لمعظم الشعراء العراقيين والعرب والاوسمة والجوائز التي حصل عليها. وحتى ابنه السيد صبحي اختذته التجارة وابعدته عن مهمة توثيق عبقرية ابيه.

وهكذا عوض عن هذا التقصير المتذوقون وعشاق المقام فدونوا مفردات القبانجي وانا منهم.

ومن الوفاء ان أؤكد ان مكتبة السيد سمير الخالدي غنية بمقامات واغاني مطرب العراق الاول كذلك مكتبة صباح جار الله وعدنان العزاوي ود. احمد السبتي وصبحي البربوني، وتبقى مكتبة الخالدي منفردة بتعددية غناء القبانجي حيث تابعه منذ اكثر من عشرين سنة وسجل له تسجيلات نادرة.

وعلى الرغم من اهمية هذه المكتبات فان ذاكرة العلامة الشيخ جلال الحنفي اكثر غناء ورصانة لانه عاصر القبانجي، وعاصر زملاءه وكتب وسجل ملاحظات قيمة ستظل نبراسا مضيئا لكل من يريد ان يتعرف على مساعي عمالقة غناء المقامات. واعد الحنفي افضل باحث في مدارس المقامات ، واحسن ناقد لها.

واعتب على مسؤولي التلفزيون والاذاعة في السابق لاهمالهم قضية تسجيل جميع المقامات بصوت القبانجي عندما كان متعافيا ولو فعل لاسهموا في توثيق عطاء هذا الرائد وقدموا خدمة للمقام ومتعة للجمهور.

وفضل تصوير سبعة مقامات للقبانجي في التلفزيون يعود الى الفنان كمال عاكف الذي اجتهد في تسجيل هذه المقامات وهي (المدمي، الحويزاوي، والجمال، الشرقي رست، الاورفة، والبنجاه والنهاوند) والاخيرة عثرت عليه بين طيات انقاذ معدة للحرق او التلف. وعرضته في برنامج المقام.

ان قضية توثيق ونشر فن المقام الاصيل مسؤولية وطنية وتاريخية لانه الفن الذي تميز به العراقيون منذ مئات السنين وهو هويتهم وحضارتهم الموسيقية المجسدة لتطلعاتهم الفنية والادبية والاجتماعية.

فحري بنا ان نفكر جليا بهذا الفن الرفيع المستوى ونسعى الى توثيقه واعلانه بكل الوسائل الاعلانية حتى وان كره هواة الغناء المستورد بالمقام قيمة عراقية تتمتع بالحيوية والنشاط وتنسجم مع كل المتغيرات، والمقام لا يتقاطع مع المعاصرة. بل يندمج معها اذا توفرت له اصوات كبيرة جميلة كصوت القبانجي ويوسف عمر وحسن خيوكة وعبد الرحمن خضر وناظم الغزالي.

هذه مقدمة اسوقها قبل الولوج الى المحطات المشرقة في حياة غريد الرافدين لما لها من فائدة التذكير كي لا نخسر اكثر مما خسرنا في السابق

مطرب العصر... استاذ المقام

بثقة اقول ان محمد القبانجي يعد مطرب عصرنا بلا منازع وهو اخر سلاطين الطرب عند العرب وكل خصائص الغناء والطب والتصرف والاجتهاد والاستجابة الانية متوفرة فيه، ومتالقة من خلاله ومتوهجة في صوته.

وفضيلة القبنجي لا تكمن في صوته العظيم بصفاء قراراته وجواباته، وحفظه الرائع لاصول المقامات وفي معاشرته المثمرة لكبار الشعراء والمثقفين فحسب بل تمكن ايضا في كونه موصلا اصيلا للمقام بين القرن التاسع عشر والعشرين.

وهو حالة حضارية ينبغي ان نقف عندها ونهيئ كل وسائل انتشارها وتوثيقها وابراز فخرنا بها. وهذا يعني ان القبانجي خلاصة واعية لمرحلة طويلة وعميقة الدلالات والمعاني وتمتد لاكثر من مئة سنة.

ان الخلاصة اثرت في معظم قراء المقام الذين جاؤوا بعد القبانجي وقلدوه وبعضهم اخفق واساء، والبعض الآخر احسن لكنه لم يضف شيئا الى مدرسة القبانجي مثل يوسف عمر.

فقد عرف يوسف عمر بعناده وكبريائه وعدم تصالحه مع جميع مطربين المقام ايامه، لانه يشعر بتفوقه وابداعه المتميزين. وكان يميل الى التحدي بشكل غريب فشاخ صوته تماما.. واذكر له حالتين الاولى توضح صلابة تحديه والثانية توضح اعترافه الاخير بفضل استاذه القبانجي. اما الاولى فكانت في امسية للمولد النبوي الذي اشترك فيه مع الملا عبد الستار الطيار وصوت الطيار من الاصوات النحاسية الحادة فياخذ المقامات من الطبقات العالية واحسب انه يريد ان يتميز على قارئ المقام الذي يقرأ بنظامية وهندسة نغمية ضمن محطات متعددة للصوت البشري.. وفي هذه الامسية احسست ان يوسف عمر سيخسر المنازلة والمنافسة وقد نبهته بضرورة مراعاة صوته والتخفيف من ملاحقة الطيار فرفض تنبيهي قائلا.. (مهما طار الطيار فسوف احلق فوقه) وفعلا استطاع لكن بمرور الايام وبكثرة المواليد والتحدي ذهب صوته في وقت مبكر.

اما الثانية فكانت على فراش التوديع في احدى المستشفيات حيث قال لي جملة (سجل يا يحيى انني وجميع قراء المقام نهلوا من الاستاذ محمد القبانجي ولم يضيفوا شيئا جديدا، ارجوك ان لا تنسى ذكر هذه الحقيقة، وهي اني اذكرها بكل دقة لتكون ردا على كل من يدعي التطوير والتغيير بعد القبانجي خاصة من الذين يتوهمون ان خدمة الاعلام لهم كافية لطرح ادعاءات زائفة قد تنطلي على الطيبين من عشاق المقام)..

ولهؤلاء اسرد حكاية معروفة عن المطرب اللامع المرحوم ناظم الغزالي الذي كان له فضل في نشر المقام والاغنية في الوطن العربي لكنه لم ينس فضل القبانجي عليه وعلى المقام ولا اعتقد ان المقصودين قادرون على الوصول الى عشر ما وصله القبانجي والغزالي وشتان بين الاثنين.

في عام ١٩٥٩ اقام الغزالي حفلة مقام بشت في الاذاعة فقدمه المذيع قائلا (معكم الان استاذ المقام العراقي المبدع العراقي ناظم الغزالي) ثم اسهب في الاطراء. فقاطعه الغزالي قائلا (انا لست استاذ المقام العراقي – انا تلميذ في مدرسة القبانجي والاستاذية له ايها الصديق) هكذا كان الاصلاء يتحدثون.

لقد وجدت اثناء زياراتي لعدد من الاقطار العربية فيها صغار المطربين العراقيين الذين فشلوا في وقوفهم في ساحة الغناء العراقي يمارسون الغناء الافلج في ملاهيها ونواديها، وهناك لافتات كتب عليها (مطرب العراق الاول فلان) او ملك الغناء العراقي فلان، او غريد الرافدين فلان) وهذه الالقاب اطلقت على القبانجي من قبل كبار الملحنين والشعراء العرب ونالها باستحقاق وتقدير.. فحري باخوتنا في السفارات ان يحدوا من هذه الظاهرة المتزلفة.

فالشمس لا يحجبها الغربال كما يقال.. والقبانجي نجم المقام والغناء في العراق وكان سيدا لهما وقديرا بهما، والالقاب التي اطلقت عليه يستحقها بكل جدارة.. ولا يحق لصغار المطربين ان يتشدقوا بحملها.

روايات عن القبانجي

في حياة مطرب العراق الاول روايات عديدة تعبر عن سمات مراحل سياسية واجتماعية توضح مدى صلابة هذا المطرب الذي احترم نفسه وفنه وكان يقول ان المقام امانة ومسؤولية وطنية وقومية ولا تسمح للمتقاطعين معه ان يطعنوا او يرفضوا ممارسيه لانه تراص الوطن.. وقد وجدته في ايامه الاخيرة متألما بسبب ظهور افراد على الشاشة يطعنون بالمقام وقال – كيف نسمح لمثل هذه الاراء ان تقود رغبة رفع المقام من التلفزيون والعجيب ان مقدمة البرنامج تقول فرحة (باننا الغينا برنامج المقام) ونتمنى ان تتوقف الحملة لانها تدمر مساعي الرواد الذين جاهدوا من اجل ديمومة المقام والتراث.

في مؤتمر القاهرة ١٩٣٢ ترأس القبانجي الوفد العراقي وابلى بلاء حسنا وحصل على المرتبة الاولى بتحكيم فطاحل الموسيقى في الوطن العربي والعالم وكان مفخرة عراقية حلقت فوق النيل حيث سمح للوفد العراقي وقتا مفتوحا ليشدوا القبانجي بالمقامات وكان الملك فؤاد يهتز في مكانه طربا ويصيح (هذا هو الطرب يا محمد باشا) واهتز ايضا بصوت القبانجي الشاعران المرحومان احمد شوقي واحمد رامي.. وفي اليوم الثاني جاءه رامي متلهما منه قبوله الى زيارة شوقي في بيته لانه اثار دهشته ويريد ان يتعرف عن كتب على المقامات العراقية وعليه.. وكان القبانجي تواقا لملاقاة امير الشعراء لكنه رفض دعوة شوقي قائلا لرامي – يا سيدي الزائر يزار – فعلق رامي.

– شوقي شاعر عظيم يقصده كل الزائرين ويعجبني ان تتعرف عليه. رد القبانجي.

– هو شاعر عظيم وانا مطرب فن رفيع.

فاحتار رامي وغادره بعد اكثر من ساعة طرق باب غرفة القبانجي فاذا شوقي ورامي يسلمان عليه فطار من الفرح.. وبعد جلوسهم سال شوقي القبانجي عن قصة المجرشة فشرحها.. فقال شوقي (هذا اعظم حوار بين الله والانسان المسحوق).

ورحل شوقي عام ١٩٢٤ وظلت علاقة رامي بالقبانجي قائمة وتوجت بلقاء عام ١٩٦٤ في مؤتمر الادباء الذي انعقد في بغداد وشاهد المشاهدون انشداد رامي لصوت القبانجي.

في سنوات الخميسيات بلغ عطاء القبانجي اوجه واصبح مطربا لا يجاريه اي مطرب.. وهاجسا في ضمير الشعب وكان الساسة وابناء الذوات يتعشقون مجالسته والاستماع الى غنائه.

ففي احد المرات طلب منه (صباح نوري سعيد) ان يحيي حفلة في بيته لمناسبة ما فرفض القبانجي واعدى انه مريض.. وبعد خروج (صباح نوري) من مكتبه دخلت عليه امراة فاضلة قائلة.

– لقد نذرت شيئا فهل تسمعني؟

– تفضلي يا اختي.

– نذرت امام الجميع ان اقنع القبانجي باقامة حفلة مقام في يوم زواج ابني الوحيد وغدا سيتم زفافه فارجوك ان لا تخيب املي.

اجابها القبانجي

– لك ما تريدين واين سكنك

فاعطته العنوان ثم سألها

– هل توجد مستلزمات الحفلة من اجهزة صوتية وكراسي

قالت:

– لايوجد .. فانا امرأة فقيرة لا افهم بهذه الامور.

فردها

– حسنا اذهبي الى دارك واطمئني وفي نفس الموعد كان القبانجي في بيت هذه المرأة ومعه الاجهزة والكراسي حيث كان ينتظراه الاف الناس. فاحيا حفلة جميلة سمع بها (صباح نوري سعيد) فهاتفه معاتبا فرد القبانجي:

– انه مزاج فنان.

هكذا كان مطربنا يتعامل مع الناس ومع ابناء الذوات.

وذكر لي عازف القانون المبدع (خضير الشبلي) الذي واكب القبانجي في معظم حفلاته وناله حبه.. انه في مطلع الستينات وصلنا الى الكويت بدعوة خاصة.. وبعد يومين طلب منا امير الكويت ان نصاحبه في رحلته الى الصيد وقد دعى الى هذه الرحلة امراء الخليج للتمتع بالصيد وصوت القبانجي ففوجئت (والكلام للشبلي).. هذا المطرب الجديد المجدد المتمرد الموهوب هي امسية اقيمت على شرق الحافظ والفنان العظيم ملا عثمان الموصلي في بيت احد الاعيان في سنة ١٩١٩، وادى بضعة مقامات منها الابراهيمي والمتصدري والصبا شاب وسيم فهاج حماس الموصلي له واستغرب ثم سال عنه فقال له الحاضرون انه محمد ابن القارئ عبد الرزاق عبد الفتاح القبانجي.

وعلق الموصلي انه شبل اصيل لاسد اصيل بعدها تعرف على القبانجي وقال امام الحاضرين .. سجلوا في ذاكرتهم ان محمدا مطربا رائعا للمقام وسيكون له شان خطير في المقامات العراقية.

فاندهش التقليديون وراحوا يتحينون الفرص لطعن القبانجي وتشويه سمعته.. فشهادة الموصلي تعني رفعة وتفوق القبانجي عليهم.

فنشا الصراع بين العراقين لكن القبانجي ظل سيدا للمقامات واميرا لها.. ومما رشحه لهذا الموقع حفظه الكامل لجميع المقامات العراقية الرئيسة والفرعية باصولها المعروفة في حين كان عدد من المطربين يترفع على غناء بضعة مقامات فرعية فرشيد القبانجي يرفض غناء مقام الحبكمي ويعده غناء للاطفال.. اما القبانجي فقد غناه وغنى جميع المقامات بتصرف جديد وكلمات جديدة واجتهد في تلحين وغناء البستات فخرج على الاسلوب البغدادي القديم حيث كان قراء المقام يقرأون المقام حسب نظامية الفصول ويتركون امر البستة لاحد الموسيقيين او المشاركين في الجوق الموسيقي ويطلق عليه بـ (البستجي) ويعتبر القبانجي اول مطرب مقامات يغني البستة ويقف اثناء الغناء ويتمايل مع الانغام. في الوقت الذي تعود مطربوا المقام على الجلوس على الكرسي وغناء المقام باتزان ورجولة محنطة.. وكانهم اصنام مهيأة للنطق فقط.. وعبروا عن وقفة القبانجي وتمايله بالتميع والصبينة..

اما المفردة الاخرى في النقلة النوعية في المدرسة القبانجية فهي الحركات التطويرية في بنية المقامات وهندسة مجموعة مقامات لم تكن معروفة في شجرة المقامات العراقية فقد صنع (١٢) مقاما.. منها (اللامي، القطر، التوريز، النهاوند، حجاز كار، حجاز كاركرد، يقترب من اسلوب التلحين الحديث كي لا يبتعد عن الجذور ا لا صيلة للا غنية العراقية على الرغم من انه اول مطرب في القرن العشرين غير التخت التقليدي للجالغي البغدادي فادخل القانون والكمان بدلا من السنطور والجوزة كان ذلك في العشرينات والثلاثينات ثم ادخل العود والناي في فرقته وكان من الممكن ان تساعده هذه الالات على الاقتراب من التلحين الحديث لكنه ظل متمسكا بالاصالة فضلا عن انه ارتجل واجتهد كثيرا في اداء الاغاني القديمة مثل (ربيتك زغيرون حسن) و(عبود جاي من النجف) و(مرابط) و(انا المسيجينة).

وكان يقرأ شعرا في اواسط البستات ويضيف ميانات للتحلية والاثارة.

كما لحن اغن تعبر عن حالات ومظاهر اجتماعية قصورها اجمل تصوير واصبحت وثائق تحكي قصة المجتمع العراقي قبل اكثر من خمسين سنة، وبامكان الدارسين في حقول علم الاجتماع والنفس ان يتعرفوا على طبيعة المجتمع العراقي من خلال اغاني القبانجي او الاغاني القديمة التي لم يعرف لها محلن.

ومن الاغاني القبانجية التي كانت ضمن الحركة الوصفية للمفردات الاجتماعية (المجرشة) (سودنوني) (لبنية بنت البيت كصت شعرها) (لا اتصدق بالخطابة اتبلغك وهي كذابة) (غنية)، (انا المغني) (حبي حكم) (لاتظن عيني تنام) (من كايلك تشري شعير) (يا حلو يابو السدارة) (زين الله جابك) .

وجميع هذه الاغاني من كلمات باستثناء اغنية المجرشة التي كتب كلماتها عبود الكرخي والقبانجي غير في بعض ابياتها كي تكون لائقة في السياق الغنائي.. ويتقبلها الجمهور.

وتجدر الاشارة الى ان القبانجي اول فنان يلحن المربع البغدادي ويخضعه الى الالات الموسيقية فيما كان المربع يعتمد على الايقاعات فقط واول مربع لحنه (ماريد السفر) وسجله من بعده المرحوم يوسف عمر بعد مقام الاوج.

وعلينا معالجة هذه الطفيليات الاجنبية في تفاصيل المقامات، ونتعلم من مدرسة القبانجي ما يجعلنا نسهم في تطوير تراثنا مع الحفاظ على اصنام مهيأة للنطق فقط.. وعبروا عن وقفة القبانجي وتمايله بالتميع والصبينة..

اما المفردة الاخرى في النقلة النوعية في المدرسة القبانجية فهي الحركات التطويرية في بنية المقامات وهندسة مجموعة مقامات لم تكن معروفة في شجرة المقامات العراقية فقد صنع (١٢) مقاما.. منها (اللامي، القطر، التوريز، النهاوند، حجاز كار، حجاز كاركرد، يقترب من اسلوب التلحين الحديث كي لا يبتعد عن الجذور ا لا صيلة للا غنية العراقية.

وكان من الممكن ان تساعده هذه الالات على الاقتراب من التلحين الحديث لكنه ظل متمسكا بالاصالة فضلا عن انه ارتجل واجتهد كثيرا في اداء الاغاني القديمة مثل (ربيتك زغيرون حسن) و(عبود جاي من النجف) و(مرابط) و(انا المسيجينة).

وكان يقرأ شعرا في اواسط البستات ويضيف ميانات للتحلية والاثارة.

كما لحن اغن تعبر عن حالات ومظاهر اجتماعية قصورها اجمل تصوير واصبحت وثائق تحكي قصة المجتمع العراقي قبل اكثر من خمسين سنة، وبامكان الدارسين في حقول علم الاجتماع والنفس ان يتعرفوا على طبيعة المجتمع العراقي من خلال اغاني القبانجي او الاغاني القديمة التي لم يعرف لها محلن.

ومن الاغاني القبانجية التي كانت ضمن الحركة الوصفية للمفردات الاجتماعية (المجرشة) (سودنوني) (لبنية بنت البيت كصت شعرها) (لا اتصدق بالخطابة اتبلغك وهي كذابة) (غنية)، (انا المغني) (حبي حكم) (لاتظن عيني تنام) (من كايلك تشري شعير) (يا حلو يابو السدارة) (زين الله جابك) .

وجميع هذه الاغاني من كلمات باستثناء اغنية المجرشة التي كتب كلماتها عبود الكرخي والقبانجي غير في بعض ابياتها كي تكون لائقة في السياق الغنائي.. ويتقبلها الجمهور.

وتجدر الاشارة الى ان القبانجي اول فنان يلحن المربع البغدادي ويخضعه الى الالات الموسيقية فيما كان المربع يعتمد على الايقاعات فقط واول مربع لحنه (ماريد السفر) وسجله من بعده المرحوم يوسف عمر بعد مقام الاوج.

القبانجي يغني بحضور نوري السعيد

برفض الاستاذ لهذه الدعوة الدسمة!! مدعيا ان زوجته مريضة والعجيب ان مقدمة البرنامج تقول فرحة (باننا الغينا برنامج المقام) ونتمنى ان تتوقف الحملة لانها تدمر مساعي الرواد الذين جاهدوا من اجل ديمومة المقام والتراث.

في مؤتمر القاهرة ١٩٣٢ ترأس القبانجي الوفد العراقي وابلى بلاء حسنا وحصل على المرتبة الاولى بتحكيم فطاحل الموسيقى في الوطن العربي والعالم وكان مفخرة عراقية حلقت فوق النيل حيث سمح للوفد العراقي وقتا مفتوحا ليشدوا القبانجي بالمقامات وكان الملك فؤاد يهتز في مكانه طربا ويصيح (هذا هو الطرب يا محمد باشا) واهتز ايضا بصوت القبانجي الشاعران المرحومان احمد شوقي واحمد رامي.. وفي اليوم الثاني جاءه رامي متلهما منه قبوله الى زيارة شوقي في بيته لانه اثار دهشته ويريد ان يتعرف عن كتب على المقامات العراقية وعليه.. وكان القبانجي تواقا لملاقاة امير الشعراء لكنه رفض دعوة شوقي قائلا لرامي – يا سيدي الزائر يزار – فعلق رامي.

– شوقي شاعر عظيم يقصده كل الزائرين ويعجبني ان تتعرف عليه. رد القبانجي.

– هو شاعر عظيم وانا مطرب فن رفيع.

فاحتار رامي وغادره بعد اكثر من ساعة طرق باب غرفة القبانجي فاذا شوقي ورامي يسلمان عليه فطار من الفرح.. وبعد جلوسهم سال شوقي القبانجي عن قصة المجرشة فشرحها.. فقال شوقي (هذا اعظم حوار بين الله والانسان المسحوق).

ورحل شوقي عام ١٩٢٤ وظلت علاقة رامي بالقبانجي قائمة وتوجت بلقاء عام ١٩٦٤ في مؤتمر الادباء الذي انعقد في بغداد وشاهد المشاهدون انشداد رامي لصوت القبانجي.

في سنوات الخميسيات بلغ عطاء القبانجي اوجه واصبح مطربا لا يجاريه اي مطرب.. وهاجسا في ضمير الشعب وكان الساسة وابناء الذوات يتعشقون مجالسته والاستماع الى غنائه.

ففي احد المرات طلب منه (صباح نوري سعيد) ان يحيي حفلة في بيته لمناسبة ما فرفض القبانجي واعدى انه مريض.. وبعد خروج (صباح نوري) من مكتبه دخلت عليه امراة فاضلة قائلة.

– لقد نذرت شيئا فهل تسمعني؟

– تفضلي يا اختي.

– نذرت امام الجميع ان اقنع القبانجي باقامة حفلة مقام في يوم زواج ابني الوحيد وغدا سيتم زفافه فارجوك ان لا تخيب املي.

اجابها القبانجي

– لك ما تريدين واين سكنك

فاعطته العنوان ثم سألها

– هل توجد مستلزمات الحفلة من اجهزة صوتية وكراسي

قالت:

– لايوجد .. فانا امرأة فقيرة لا افهم بهذه الامور.

فردها

– حسنا اذهبي الى دارك واطمئني وفي نفس الموعد كان القبانجي في بيت هذه المرأة ومعه الاجهزة والكراسي حيث كان ينتظراه الاف الناس. فاحيا حفلة جميلة سمع بها (صباح نوري سعيد) فهاتفه معاتبا فرد القبانجي:

– انه مزاج فنان.

هكذا كان مطربنا يتعامل مع الناس ومع ابناء الذوات.

وذكر لي عازف القانون المبدع (خضير الشبلي) الذي واكب القبانجي في معظم حفلاته وناله حبه.. انه في مطلع الستينات وصلنا الى الكويت بدعوة خاصة.. وبعد يومين طلب منا امير الكويت ان نصاحبه في رحلته الى الصيد وقد دعى الى هذه الرحلة امراء الخليج للتمتع بالصيد وصوت القبانجي ففوجئت (والكلام للشبلي)..

هذا المطرب الجديد المجدد المتمرد الموهوب هي امسية اقيمت على شرق الحافظ والفنان العظيم ملا عثمان الموصلي في بيت احد الاعيان في سنة ١٩١٩، وادى بضعة مقامات منها الابراهيمي والمتصدري والصبا شاب وسيم فهاج حماس الموصلي له واستغرب ثم سال عنه فقال له الحاضرون انه محمد ابن القارئ عبد الرزاق عبد الفتاح القبانجي.

وعلق الموصلي انه شبل اصيل لاسد اصيل بعدها تعرف على القبانجي وقال امام الحاضرين .. سجلوا في ذاكرتهم ان محمدا مطربا رائعا للمقام وسيكون له شان خطير في المقامات العراقية.

فاندهش التقليديون وراحوا يتحينون الفرص لطعن القبانجي وتشويه سمعته.. فشهادة الموصلي تعني رفعة وتفوق القبانجي عليهم.

فنشا الصراع بين العراقين لكن القبانجي ظل سيدا للمقامات واميرا لها.. ومما رشحه لهذا الموقع حفظه الكامل لجميع المقامات العراقية الرئيسة والفرعية باصولها المعروفة في حين كان عدد من المطربين يترفع على غناء بضعة مقامات فرعية فرشيد القبانجي يرفض غناء مقام الحبكمي ويعده غناء للاطفال.. اما القبانجي فقد غناه وغنى جميع المقامات بتصرف جديد وكلمات جديدة واجتهد في تلحين وغناء البستات فخرج على الاسلوب البغدادي القديم حيث كان قراء المقام يقرأون المقام حسب نظامية الفصول ويتركون امر البستة لاحد الموسيقيين او المشاركين في الجوق الموسيقي ويطلق عليه بـ (البستجي) ويعتبر القبانجي اول مطرب مقامات يغني البستة ويقف اثناء الغناء ويتمايل مع الانغام. في الوقت الذي تعود مطربوا المقام على الجلوس على الكرسي وغناء المقام باتزان ورجولة محنطة.. وكانهم اصنام مهيأة للنطق فقط.. وعبروا عن وقفة القبانجي وتمايله بالتميع والصبينة..

اما المفردة الاخرى في النقلة النوعية في المدرسة القبانجية فهي الحركات التطويرية في بنية المقامات وهندسة مجموعة مقامات لم تكن معروفة في شجرة المقامات العراقية فقد صنع (١٢) مقاما.. منها (اللامي، القطر، التوريز، النهاوند، حجاز كار، حجاز كاركرد، يقترب من اسلوب التلحين الحديث كي لا يبتعد عن الجذور ا لا صيلة للا غنية العراقية.

وكان من الممكن ان تساعده هذه الالات على الاقتراب من التلحين الحديث لكنه ظل متمسكا بالاصالة فضلا عن انه ارتجل واجتهد كثيرا في اداء الاغاني القديمة مثل (ربيتك زغيرون حسن) و(عبود جاي من النجف) و(مرابط) و(انا المسيجينة).

وكان يقرأ شعرا في اواسط البستات ويضيف ميانات للتحلية والاثارة.

كما لحن اغن تعبر عن حالات ومظاهر اجتماعية قصورها اجمل تصوير واصبحت وثائق تحكي قصة المجتمع العراقي قبل اكثر من خمسين سنة، وبامكان الدارسين في حقول علم الاجتماع والنفس ان يتعرفوا على طبيعة المجتمع العراقي من خلال اغاني القبانجي او الاغاني القديمة التي لم يعرف لها محلن.

ومن الاغاني القبانجية التي كانت ضمن الحركة الوصفية للمفردات الاجتماعية (المجرشة) (سودنوني) (لبنية بنت البيت كصت شعرها) (لا اتصدق بالخطابة اتبلغك وهي كذابة) (غنية)، (انا المغني) (حبي حكم) (لاتظن عيني تنام) (من كايلك تشري شعير) (يا حلو يابو السدارة) (زين الله جابك) .

وجميع هذه الاغاني من كلمات باستثناء اغنية المجرشة التي كتب كلماتها عبود الكرخي والقبانجي غير في بعض ابياتها كي تكون لائقة في السياق الغنائي.. ويتقبلها الجمهور.

وتجدر الاشارة الى ان القبانجي اول فنان يلحن المربع البغدادي ويخضعه الى الالات الموسيقية فيما كان المربع يعتمد على الايقاعات فقط واول مربع لحنه (ماريد السفر) وسجله من بعده المرحوم يوسف عمر بعد مقام الاوج.

من اوراق الراحل محمود العبطة

في شارع الرشيد

تردد في اوساطنا العلمية في الاسابيع القليلة الماضية ظهور مذنب جديد في سماء بغداد، في الساعات الاخيرة من الليل، وكذلك في المحافظات باسم "مذنب اوستن" على اسم مكتشفه!. وكانت فرصة لميادر المختصون في دوائر الفلك عندنا ليقراوا اسم هذا المذنب، او اسم مكتشفه باسم (مذنب هالي) لإياسم (كندي) الذي رصده رصدا علميا دقيقا مدعما بالادلة والشواهد سنة ٢٢٢ هـ/ ٨٣٧م ، اي قبل هالي باكثر من ثمنمائة سنة!

فمنذ سنة ٢٤٠ م والانسان يرصد ويسجل كل زيارة لهذا المذنب الى كوكبنا (الارض) في كل ٧٦ سنة مرة واحدة. فكانت له زيارة لارضنا في سنة ١٩١٠م ثم اخر زيارة في سنة ١٩٨٦م.

ونحن لا نريد ان نغتصب حقا لاحد، وننسبه لانفسنا، خصوصا في الاكتشافات العلمية، من جهة اخرى لا نريد ان نفرط بحقوقنا او نتنازل مكرهين او طائعين عن كشف حققناه لغيرنا.

فهذا التاريخ القديم والتاريخ العربي يشهد وهذا الشعر العربي – الذي هو ديوان العرب وتراثهم – يشهد (قصيدة ابي تمام في فتح عمورية) تشهد، وهذا الرصد الصيني – على سبيل المثال – يشهد وهذه الدوائر والمراكز والمؤسسات في العصر الحديث، كلها تشهد بالدور الريادي للعرب وتفوقهم في مجالات علوم الفلك والفضاء والانواء وما الى ذلك فمن الذي رشح (هالي) ونصبه المكتشف الاول لهذا المذنب؟. وترك (الكندي) يعاتب في قبره احفاده العرب الذين خضعوا للغرب في ادعاءاتهم وقبلوا بهذا التزييف للحقائق العلمية!.

لقد ان الاوان لحسم هذا الموضوع في اوساطنا العلمية العربية في الاقل ونترك الغربيين على شططهم وعمايتهم ونشطب كلمة (هالي) من كتبنا ومؤلفاتنا ومحاضراتنا بعد الان ونحل محلها كلمة (الكندي).

كان الدكتور وفيق شاكر رضا (من جامعة البصرة) قد اكد بشكل قاطع في نيسان ١٩٨٧ في دراسة خاصة القاها في مركز احياء التراث العلمي العربي في بغداد، هذه الحقيقة الثابتة بالوثائق والجداول الفلكية والادلة التي لا تقبل الجدل والمناقشة.

فلسنا نحن فقراء الى العالم في هذا الميدان – قيدما وحديثا – فهذا البروفيسور ارنولد ولغندال، عضو المجمع العلمي الملكي البريطاني (F.R.S) رئيس قسم الفيزياء بجامعة درهام يدعو سنتي ١٩٨٦ و١٩٨٧ عالمنا (الدكتور رضا) للمشاركة مع مجموعة من الباحثين العالميين في مجال الفلك التاريخي ومن جهة اخرى فان جامعة البصرة رحشته لجائزة الكويت لعام ١٩٨٧ في مجال (التراث العلمي العربي في الفيزياء) التي نالها عن جدارة واستحقاق.

نعود الان الى مذكرات المهندس المرحوم حسوبي عبد الوهاب فنقول: انه كتبها على (شكل رؤوس اقلام) اشبه ما تكون بطريقة كتابة مذكرات المرحوم طه الهاشمي، وكان يامل ان يتوسع في شروحاتها وتفصيلاتها الا ان المنية ادركته في شباط ١٩٨٨ فرحل عنا وتوقف مشروعه.

والمرحوم حسوبي من مواليد مدينة العماة سنة ١٩٠٤ اخر وظيفة شغلها رئيس مهندسين ومدير شعبة الترسيم بمديرية المساحة العامة سنة ١٩٥٨ تولى اعداد التقويم الحكومي الرسمي مدة (١٩) عاما من ١٩٦٩ لغاية ١٩٨٨ يقول في مذكراته.

كان والدي ضابط تجنيد في العمارة مدة (١٤) سنة حتى احالته على التقاعد سنة ١٩١٤ وهو برتبة (يوزباشي) ... رائد.

ثم يذكر انه شاهد في سنة ١٩١٠ هذا المذنب (الكندي) وكان عمره يومئذ ست سنوات، من سطح احد البيوت المطلة على نهر دجلة في العمارة وكانت جموع غفيرة من الناس تشاهده من اماكن مختلفة، ولم يكن يعرف شيئا عن هذا المذنب الا انه سمع من الناس، وفي المجالس والبيوتات الكبيرة التي يزورها مع والده.

ثم يقول:

نحن في الاصل من اهالي بغداد، فوالدي من محلة (قنبر علي) كنا نسكن قرب دار فخري جميل زاده، ووالدتي من محلة (العاقولية) زقاق بيت الشيخ احمد الداود.

ويقول:

في سنة ١٩١٥ اعيد والدي للخدمة، وعين ضابط تجنيد في طويريج (الهندية) ثم نقل الى دلتاوه (الخالص) وكنا نذهب معه فحيثما ذهب دخلت مدرسة دلتاوه الابتدائية، وكانت في مقهى تحت دائرة التجنيد، وكان مديرها ومعلمها الوحيد (رفعت افندي) وهو من بغداد من محلة (عيفان) في الفضل.

وكان طلابها يعدون على اصابع اليد الواحدة، وهم من ابناء الموظفين بينهم تلميذ اسمه (مصطفى جواد) الدكتور فيما بعد!. يروي المرحوم حسوني في مذكراته هذه (او ملحوظاته) اشياء طريفة من محيطه دونها حسب المراحل التي عاشها في عهد الاحتلال العثماني.. الاحتلال البريطاني.. العهد الملكي .. العهد الجمهوري. من ذلك يقول :

(في العمارة) في احدى الليالي ذهبت مع والدي الى بيت جارنا (مامور دائرة البواخر) وشاهدت المغني المشهور (ملا عثمان الموصلي) مع الفنانة الحلبية (طيره) حيث نزلوا من احدى البواخر التي توقفت في العمارة لبضع ساعات وكانت متوجهة الى البصرة في طريقها الى المحمرة بدعوة من الشيخ خزعل امير الاحواز.

ويقول:

في ليلة ٣/٢ كانون اول ١٩١٤ تعرض شرقي بغداد للغرق (جانب الرصافة) فاصاب الناس الهلع واخذت السفن الشراعية والبواخر والزوارق تنقلهم ليلا الى جانب الكرخ – لانه اكثر ارتفاعا من الرصافة – وقد انتقلنا نحن في صباح اليوم التالي باحدى (الكفف) الكبيرة من شريعة الميدان الى الجانب الاخر ونزلنا في بيت صديق والدي السيد عبد الوهاب الفروجي، الذي اجر لنا فيما بعد دارا في محلة سوق حماد لمدة شهر.

ويقول كذلك:

ومن الاحداث التي اتذكرها ونحن في بغداد، عند اعلان الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ تم تسفير اغلب رجال بغداد بالاكراه الى جبهة القفقاس، حيث مات اغلبهم من البرد الشديد الذي لم يالفوه من قبل، وهذا ما يعرف (بالسفر بر) او (الغربية).

كانت تشغل من قبل كمارك بغداد.

١- جامع السيد سلطان علي: والى يمين البناية يقع هذا الجامع وهو من مناظر بغداد القديمة، وفي الجامع قبر السيد مهدي الرواس من الصوفية المتاخرين وولد في سوق الشيوخ ودرس في ازهر القاهرة وله اكثر من ديوان شعر وفي الجامع مكتبة عامرة سبق لاحد اساتذة جامعة بغداد ان جردها وكتب عنها في مجلة (المكتبة) البغدادية في الستينات، وبجانب عمارة اورزدي باك ممر ضيق كان يحمل اسم مدرسة ال قره علي في الاربعينيات وازيل الزقاق في الخمسينيات ولا ندري هل كان ذلك بعلم وزارة الاوقاف والشؤون الدينية؟

٢- عبد الكريم الجيلي:

وفي طريق يقع مقابل الجامع وعلى اليسار منه يقع قبر الشيخ عبد الكريم الجيلي صاحب كتاب الانسان الكامل والفيلسوف الاشراقي واخر من اشار اليه المرحوم الدكتور زكي مبارك في الجزء الثاني من التصوف الاسلامي وقامت الاوقاف مشكورة في تعمير المساجد الذي يقع فيه القبر ونلك في خمسينيات هذا القرن، ولدى زيارة الكاتب للمنطقة قبل كتابة هذه الكلمة وجد البناية التي تضم قبر الصوفي الكبير والتي تحولت (المعهد الاسلامي) قد تحولت مدرسة ابتدائية.

٣- مدرسة العوينة:

في الشارع الكبير الذي يربط شارع الرشيد بشارع الجمهورية كانت مدرسة متينة البناء كثيرة الغرف تحمل الاسم اعلاه وازيلت من الوجود في الخمسينيات بعد ان خرجت المئات من ابناء المنطقة.

٤- سينما الزوراء:

ومقابل قصر الاعلام الداخلي تقع سينما قديمة باسم سينما الزوراء والذي اراه هو بقاء السينما بعمارتها القديمة وكارسيها الخشبية لكي توظف في المستقبل للفنون الشعبية كالقره كوز او مسرح العرائس او ما الى ذلك من المأثورات الشعبية البغدادية.

٥- محلة السنك:

من المحال الجديدة في بغداد القديمة وتحتفظ بمتانة الدور المشتملة عليها المحلة، مع الاحتفاظ بالريازة البغدادية مع تصرف بسيط اقتضاء تغيير مواد البناء هو استعمال (الشيلمان) لاجل العقادة بالطابوق البغدادي الفاخر وزخارف الطوق على اسلوب السليمي والمشجر مع الشناشيل البغدادية الصميمة مع تحوير اخر هو بناؤها من الطابوق دون الخشب ودور محلة السنة تحمل ظاهرة خاصة بها هي حفر تاريخ البناء على الحساب الهجري والميلادي في ابواب اكثر دور المحلة وهي مقسمة تقسيما حديثا منظما حيث شيدت في العشرينات والثلاثينات حتى الاربعينات، وبعض الدور اتخذت معامل للتجارة او الطباعة او محلات تجارية، والذي نراه هو توظيف هذه المحلة البغدادية والواقعة على شارع الرشيد للفولكلور البغدادي باتخاذ بعض دورها معامل يدوية للنسيج التي اشتهرت بها المنطقة القريبة منها وهي محلة باب الشيخ، وانتاج الازر والبشتمال واليشماغ.. الخ واتخاذ دورها الاخرى محلات للجراخة والحدادة والنجارة ذات الطابع البغدادي الاصيل وباشراف اسطوات وخبراء هذه الفنون الشعبية المهددة بالانقراض، واتخاذ دورها الاخرى فنادق صغيرة لكسنى الوفود والضيوف على ان تبقى على طابعها البغدادي بالصيف والشتاء، ان المنطقة مهددة بالتهديم لاتخاذها عمارات وفنادق ومحلات تجارية وفي ذلك محم تام لهذه المحلة الجميلة!.

٦- جامع السيد وسبيل النقيب:

في نهاية محلة السنك يقع جامع السيد المشيد في عهد داود باشا في ١٢٤٤هـ وكان مهدما سوى الباب حتى جدد اخيرا بصورة مناسبة، وعلى مسافة قريبة منه تقع سبيلخانة سلمان النقيب ومسجد صغير ملاصق لها، والى ايام قريبة كان الطوق على اسلوب السليمي والمشجر مع الشناشيل البغدادية الصميمة مع تحوير اخر هو بناؤها من الطابوق دون الخشب ودور محلة السنة تحمل ظاهرة خاصة بها هي حفر تاريخ البناء على الحساب الهجري والميلادي في ابواب اكثر دور المحلة وهي مقسمة تقسيما حديثا منظما حيث شيدت في العشرينات والثلاثينات حتى الاربعينات، وبعض الدور اتخذت معامل للتجارة او الطباعة او محلات تجارية، والذي نراه هو توظيف هذه المحلة البغدادية والواقعة على شارع الرشيد للفولكلور البغدادي باتخاذ بعض دورها معامل يدوية للنسيج التي اشتهرت بها المنطقة القريبة منها وهي محلة باب الشيخ، وانتاج الازر والبشتمال واليشماغ.. الخ واتخاذ دورها الاخرى الحديقة.

٨- متحف افن الحديث:

وهذا المتحف من مناظر هذه المنطقة ويعد رمزا حضاريا لبغداد القديمة – الحديثة ويقع على يسار جدارية فائق حسن.

٩- سور بغداد الشرقي:

كان سور بغداد في الباب الشرقي، ولا يزال الاسم مستعملا بالرغم من ازالة السور في اواسط العشرينات، ومكانه بالضبط مقابل مدرسة الراهبات سابقا ولا تزال شامخة البنيان، واقتراحنا المتواضع هو مصغر للسور باخراج فني يقع في مكانه التاريخي مقابل نصب جواد سليم.

١٠ في شارع ابي نؤاس:

انها جولة مريحة من بداية الشارع حتى الجسر المعلق، تمتعنا بربيع بغداد والنسيم العليل وحمدنا موقع تمثال الحسن بن هاني البغدادي الشاعر العالمي والتماثيل الجميلة القريبة منه والمقاهي الشعبية.. الخ والذي نرجوه من المسؤولين ومن امانة العاصمة هو استغلال الشاطئ باعداد المسابح والجرابيع ومحلات لصيد السمك تنافس باعة السمك الذين قامت دكاكينهم على نسق بديع لتهيئة السمك المسقوف.. اضافة الى ذلك جلي الزوارق البغدادية والسفن الصغيرة التي تنقل المواطنين الى المحلات الشعبية فبالكرخ وفيالرصافة، على ان تحمل الاسماء القديمة وتستعمل المجاذيف والاشرعة التي اوشكت على الانقراض، والى لقاء اخر في حماية اول جامعة في العام القائم في قلب بغداد وهي المدرسة المستنصرية العظيمة.

مهندس عراقي شاهد مذنب (الكندي) في سماء مدينة العمارة سنة 1910

طرائف واحداث في مذكرات المرحوم حسوبي

عبد الوهاب صانع التقويم الحكومي الرسمي لمدة (19) عاما...

من الاوراق الذابلة

عندما اختير مدير الأملاك والاراضي الاميرية لمنصب وزير المعارف!

في ١٥/ ايلول ١٩٣٥ قدم العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٥) استقالته من منصب وزير المعارف، في وزارة المرحوم ياسين الهاشمي الثانية، بسبب خلاف حول الامور الادارية دب بينه وبين مدير المعارف العام المرحوم محمد فهمي المدرس، حاول رئيس الوزراء رأب الصدع بينهما، الا انه لم يفلح، واستقال المدرس ايضا بعد ان شغل هذه الوظيفة مدة تقل عن الشهر، واختير على اثرها مديرا لدار العلوم العربية والدينية في الاعظمية.

قال المرحوم الشبيبي في استقالته:

صاحب الفخامة رئيس الوزراء الموقر: ارجو قبول استقالتي من عضوية مجلس الوزراء الموقر، وذلك لاني – حسب ما اعتقد – لم اعضد بكثير من الاراء والمقترحات التي سبق لي ان اقترحتها بشؤون المعارف، ولاسيما عندما خاض المجلس في قضايا موظفي هذه الوزارة اخيرا، وارتأى في هذا الشان اراء تختلف عما ارتايه من اكثر الوجوه، ولا ارى من الجائز ان يطول الاخذ والرد في قضايا المعارف العامة، وقضايا الموظفين فيها، خاصة ونحن على ابواب السنة الدراسية.

ولابد لي من القول باننى ناديت بكثير من ارائي الخاصة، حبا بدوام الالفة، ورغبة بتنظيم جهودنا المشتركة في خدمة البلاد، في هذه الظروف العصيبة، ولا استطيع ان افعل اكثر مما فعلت، هذا وارجوا ان تقبول يا صاحب الفخامة فائق الاعتبار والاحترام مقرونا بالدعوة الصالحة لكم ولزملائكم بالنجاح والتوفيق.

وزير المعارف

محمد رضا الشبيبي

فاجابه رئيس الوزراء، بعد ان يئس من ترضيته، بالكتاب التالي:

مولاي الاستاذ محمد رضا الشبيبي المحترم..

يؤسفني ان تذهب محاولاتي العديدة للتوفيق بين الاراء بدون نتيجة، ويؤلمني جدا ان ارى استمرار التأزر معكم في تحمل اعباء الظروف الحاضرة قد اصبح متعسرا بالنظر لقراركم الاخير.

انني اشعر بالمتاعب التي تحملتموها اثناء اضطلاعكم بمسؤولية الوزارة، واذا ما تقدمت اليكم بالاعراب عن الشكر والتقدير، فانني بلا شك اعبر في الوقت نفسه عما يحمله زملاؤكم الوزراء الباقون من شعور الامتنان على ماقوه منكم مدة اشتراككم معهم من التايد، وكل ما ارجوه ان تكون رابطة الاخوة والمبدأ التي ربطتنا في جهادنا باقية على رواقها، والتمس ان تقبلوا احترامي واجلالي.

المخلص

ياسين الهاشمي

بغداد ١٦ / ايلول ١٩٣٥

واختير على اثر هذه الاستقالة المرحوم صادق البصام لمنصب وزير المعارف، وكان يومها مديرا عاما للاملاك والاراضي الاميرية بوزارة المالية، وكان يشغل منصب وزارة المالية حينئذ المرحوم رؤوف البحراني، فتحول البصام بهذا الاختيار من مدير عام عنده الى مزاملته في المنصب والمستوى الوزاري.

ويبرز استاننا المؤرخ الكبير السيد عبد الرزاق الحسني في مؤلفاته العديدة عن تاريخ العراق السياسي الحديث – في طبعات ١٩٧٨ – هذه الاستقالة بما خلاصته.

"ان للشيخ الشبيبي اتجاهات في كيفية تسيير امور المعارف تختلف عن اتجاهات مدير المعارف وقد ادى الامور بينهما، مما حدا برئيس الوزراء تشكيل لجنة للنظر في شؤون المعارف، وقد انكر الوزير المسؤول على رئيس الوزراء هذا التدخل في شؤون وزارته، وكان رد رئيس الوزراء على هذا الاعتراض بان هذه اللجنة (استشارية) وليس على الوزير ان يتقيد بارائها"!.

ثم جرت محاولات لتعيين المرحوم طه الهاشمي مديرا عاما للمعارف: الا ان رئيس الوزراء قال انه لايمكن لاخيه ان يترك الجيش الى المعارف، وانما يجوز اشغالها وكالة.

وعاد الشبيبي للمعارف وزيرا في وزارة المدفعي الرابعة (١٩٣٦)، وشارك قبلها في ذات المنصب بوزارة ياسين الهاشمي الاولى (١٩٢٤) ثم بوزارة السيد الصدر (١٩٤٨).

والشيخ الشبيبي كما هو معروف من نوابغ الشعراء المتاخرين، له ديوان شعر كبير، تولت طبعه ونشره لجنة التاليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٤٠، ويحضرنا الان ونحن نتطلع الى ذلك المعترك الساخن من اجل المنافع الذاتية، قوله في حقيقة الاوضاع يومئذ.

ذاك ينادي منصبي منصبي
وهذا تاجي، ويحكم تاجيا!.

محمد رضا الشبيبي

ايام الشرطة في بغداد

الشرطة في بغداد

عملت في الشرطة ببغداد عدة مرات، في اوقات مختلفة، تغيرت بها المناصب والمسؤوليات. عملت معاونا لمدير شرطة لواء بغداد في العشرينيات، وعملت مديرا لشرطة لواء بغداد في عقد الاربعينيات، ثم عميدا لكلية الشرطة في الخمسينيات من هذا القرن.

معاونية شرطة بغداد في الكرخ

التحقت بوظيفة معاون مدير شرطة لواء بغداد في الكرخ في ١٧ تشرين الاول ١٩٢٦، وكانت تشكيلات مديرية شرطة لواء بغداد وقت انضمامي اليها، تتالف من المدير، وتتبعه خمس معاونيات، هي:

١. معاونية شرطة السراي.
٢. معاونية شرطة العبخانة.
٣. معاونية شرطة الكرخ.
٤. معاونية شرطة الكرادة الشرقية.
٥. معاونية شرطة سامراء.

كانت معاونية شرطة السراي تشمل المنطقة الواقعة ما بين الشورجة والصليخ، ومن ضمنها منطقة الاعظمية. اما معاونية شرطة العبخانة فتشمل المنطقة الكائنة بين الشورجة والباب الشرقي. ومعاونية شرطة الكرخ تشمل منطقة الكرخ وكرادة مريم والكاظمية والمحمودية ونهر دجلة بكامله داخل حدود معاونية بغداد. وتشمل معاونية شرطة الكرادة الشرقية المنطقة الكائنة ما بين الباب الشرقي واخر حدود بغداد جنوبا وبضمنها ناحية سلمان باك (المدائن القديمة). وتشمل معاونية شرطة سامراء قضاء سامراء بكامله وناحية تكريت.

وكانت قوات الشرطة مؤلفة من فرسان ومشاة فقط، ولم تكن لديها سيارة مسلحة، او سيارة للنقل. وكان لمعاونية شرطة زورقان صغيران بدون محرك، يتسع الواحد منها لخمسة اشخاص.

كنت احرص ان احضر بنفسي التحقيق في جميع جرائم الجنايات التي تحدث في منطقتي، اذ كنت مخولا سلطة محقق، وكنت انظم بنفسي ايضا التقارير الخاصة بالجرائم التي تحدث، اذ كان هدفي وحرصي منصبين على استتباب الأمن، وذلك بمراقبة الدوريات، والتحقيقات، والقائمين بها ليلا ونهارا، لانني كنت وما زلت اعتقد ان قطع تشكيلات مديرية شرطة لواء بغداد وقت انضمامي اليها، تتالف من المدير، وتتبعه خمس معاونيات، هي:

الموظفون البريطانيون في الشرطة

كان للموظفين البريطانيين في هذا الدور، نفوذ وسلطة كبيرة. فقد كان في مقر مديرية شرطة لواء بغداد ضابطا تفتيش بريطانيان، هما: (ميجر بتلر) و(كابتن كنس). وكان الضباط العراقيون، ومدير شرطة اللواء، يتهيبون منهما، ويحسبون لهما حسابا، وهما تابعان لمفتش الشرطة العام (كولونيل برسكوت) صاحب النفوذ والسلطة في مديرية الشرطة العامة، وهو يستمد سلطته من (كنهان كورنوالس) مستشار وزارة الداخلية المسيطرة عليها، ومع ذلك كان مدير الشرطة العام الحاج سليم يقف بوجه (كولونيل برسكوت) بقوة ويتصدى لنفوذه.

وكان في مركز شرطة السراي عريف بريطاني يدعى (سارجنت دين)، ومفوض هندي يدعى (واجه)، وكان (واجه) يقوم بتعليم المفوضين الذين يعينون حديثا في غرفة تقع فوق سطح مديرية شرطة بغداد.

مشكلة مامور مركز شرطة الكرخ

تبين لي بوضوح، من تحقيقاتي، ان مأمور مركز شرطة الكرخ توفيق له علاقة بالسراق، وهو متفق معهم في السرقات، وحين يتولى التحقيق يكشف طرقا من القضية على نحو يبقي معه الفاعل مجهولا، ويظهر قسما من المسروقات فقط، ويبقي المهم منها مكتوما، فيأخذ من اللصوص نصيبه، وينال من رؤسائه الشكر والاكرام المادي على كشفه السرقة. وقد تمكنت ان اثبت ذلك في قضية خاصة، بالرغم من الصعوبات التي صادفتها، وسجلت القضية ضده. فلما علم بالامر، راجع صاحبي التفتيش البريطانيين، اللذين كانت له علاقة بهما، فاسرا في اذن المدير ان يعترض على اجراءاتي بلزوم اخذ موافقته اولا، قبل تسجيل القضية ضد المفوض توفيق. فلم التفت الى اعتراض المدير، بعد ان بينت له ان تسجيل الدعاوى ضد اي انسان كان، لا يستدعي اذنا. وبقيت المجادلة التحريرية بيني وبين المدير الى ان انهيت التحقيق، ورفعت الاوراق اليه طالبا محاكمة مامور المركز، لأن الادلة كانت كافية لإدانته. لكن هذا الاصرار مني ادى الى نقلي الى شرطة لواء ديالى، تخلصا مني، بغية انقاذ مامور المركز من المحاكمة، مسايرة لضابطي التفتيش البريطانيين اللذين يحميانه. وبعد ان نقلت الى لواء ديالى في ٢٤ ايار ١٩٢٧، جاء مدير الشرطة العام الحاج سليم الى بعقوبا للتفتيش، فقال لي: لقد عاقبنا المفوض توفيق بتنزيل درجته وتغريمه غرامة نقدية، فهل يرضيك ذلك؟ فقلت له: كنت افضل ان يساق الى المحكمة لكي تبرهن الشرطة بوضوح انها لا تتستر على عيوب المنتسبين اليها، ولكي يكون هذا الاجراء رادعا للاخرين الذين تحدثهم نفوسهم بالاساءة الى واجباتهم.

مديرية شرطة لواء بغداد

كان منصبي الاصلي هو معاون مدير الشرطة العام لشعبة الحركات، الا ان الوزارة طلبت مني في ٢٥ ايلول ١٩٣٥ ان اشغل منصب مدير شرطة لواء بغداد، فوجدت تشكيلات المديرية باقية على ما كانت عليه يوم كنت معاونا لمدير شرطة بغداد في الكرخ، مضافا اليها معاونية شرطة النقليات والمرور.

العدالة والأمان

وجدت في شرطة بغداد بعض الامور التي عدتها مخالفة للعدالة، اذ كان "المشبوهون" بالسرقات يحتجزون في المراكز ليلا، خوفا من ارتكابهم السرقة. فلم اقتنع بهذا الاجراء المقيد للحرية والمخالف للعدالة، فالشخص اما ان يكون بريئا فتترك له حريته، واما ان يثبت ارتكابه جرما ما، فيجب تقديمه الى المحاكمة.

لذلك ابطلت هذا الاجراء، وانشأت خفارة للمراكز، واخرى لمراقبة الدوريات وجعلت الدوريات والحراس مسؤولين عن حوادث السرقة باعتبارهم اما شركاء في الجريمة، واما مهملين لواجباتهم، وكنت كلما حدثت سرقة في منطقة ما، اطلب توقيف حراسها ودورياتها باعتبارهم مهملين لواجباتهم. وبانخاذ هاتين الخطوتين انعدمت السرقة تقريبا. والأمر الآخر الذي لم يوافقني فابطلته، هو قيام الشرطة، خلال الليل، بطرق ابواب الاشخاص المحكوم عليها بوضعهم تحت مراقبة الشرطة، ليظهروا مبرهنين وجودهم في الدار، وخاصة الاشخاص المحكومين بسبب قضايا وطنية بتاثير من النفوذ البريطاني في الدولة، مثل: ذيبان الغبان، ومحمد الجرجفجي. اذ لو لم يكن النفوذ البريطاني، لما اصبحت اعمالهم تعد رائم يعاقب عليها.

كان كل همي ان ينام الناس في بيوتهم مطمئنين ملء عيونهم، امنين.

طلب توقيف جورج نعيم

في احد الأيام، كلمني وزير الداخلية بالهاتف طالبا توقيف رجل اسمه جورج نعيم، فاجبته: من المفضل لو جاءني هذا الامر عن طريق متصرف لواء بغداد. فوافقني على ذلك. وبعد ساعة كلمني متصرف لواء بغداد طالبا مني توقيف الشخص ذاته، فطلبت ان يعزز الطلب تحريريا . فاجاب موافقا. وقد كنت اقصد ان اشعره بالمسؤولية المترتبة على طلب التوقيف الكيفي، لأن للتوقيف طرفا مألوفة. فلما وصل الكتاب، عرف المتصرف قصدي، فاوعز بسحبه وانا خارج الدائرة. وفي اليوم التالي كلمني وزير الداخلية غاضبا، مستفسرا عن سبب عدم توقيف جورج نعيم. وبعد ان افهمته السبب، بينت له ان هناك طرقا قانونية للتوقيف. وان التوقيف على هذا لشكل يمكن ان يجري في المناطق التي يطبق فيها نظام دعاوى العشائر، وليس في العاصمة، واضفت مستفسرا: ما سبب طلبكم توقيف جورج نعيم؟ فقال: انه متهم بكونه وسيط رشوة بين مدير الصحة العام وبطيخة اخوان، وقصدنا ان نقدمه الى المحكمة، وهو يريد ان يهرب الى ايران. فقلت له: ان سلوك الطريق القانوني هو الاصلح والاحسن. قال: كيف نمنعه من السفر؟ قلت له: انا اضمن ذلك، الا انني اريد معرفة كيفية ثبوت التهمة عليه؟ فقال: ان ذلك ثابت بقرار لجنة الانضباط العام. فقلت له: اصبح الامر هينا، سأطلب من مديرية السفر تأخير معاملة جواز السفر لديها، ومن مديرية التحقيقات الجنائية مراقبته، وانتم زودوا المدعي العام بنسخة من قرار لجنة الانضباط العام لتقديمها الى الحاكم (القاضي) لإصدار مذكرة بتوقيف جورج نعيم. وبهذه الطريقة حلت هذه المشكلة.

الرقابة للحد من تصرفات الملك غازي الشخصية

عدت وزارة ياسين الهاشمي بعض سلوك الملك غازي وتصرفاته الشخصية لا تليق بملك. وابتداءا من ١٤ حزيران ١٩٣٦ اقدمت الوزارة على اعمال للحد من تصرفات الملك. فاحدثت مخفرا للشرطة بجوار قصر الملح الذي اتخذه الملك قصرا ثانيا له يقضي فيه اكثر اوقاته. ولم تكتف الوزارة بذلك، فارادت ان تبعد عنه سائق سيارته ابراهيم، الا انها اتبعت طريقة غير مألوفة، فبدلا من ان تتبع الاجراءات القانونية، طلبت من مدير الشرطة العام ان يهيء اشخاصا يتشاجرون معه في احدى الليالي، لاتخاذ ذلك ذريعة توقيفه وابعاده عن الملك. ولما جرت محادثتي بذلك، استنكرته قائلا: انه من العار على الحكومة ان ترتكب مثل هذا التزوير الشائن، ولكن في الامكان القبض على السائق وزجه في السجن حين يكون في حالة سكر. واصررت على مخالفتي لهذه الاعمال وامثالها، وامتناعي عن المشاركة فيها، لا لان ذلك ضد الملك فحسب، بل لانه عمل مخالف للحقيقة والعدالة، ولاعتقادي ان كل حكومة تزور الحقائق، مهما كانت الغاية من ذلك العمل، تمهد لنفسها الزوال، فلما رأى مدير الشرطة العام اصراري على موقفي، تجاوزني، واتفق مع احد المعاونين على غير علم مني، ودبر للسائق ما اسفلت ذكره من الخطة لتوقيفه.

ايام الشرطة في بغداد

بالقصف اربعا، وقنابلها من عيار ٣١ (باوند) ومن النوع الذي يستعمله الجيش. اما الخسائر، فكانت: قتيلا واحدا، وثمانية جرحى. وفي هذه الاثناء قطعت خطوط الهاتف بين بغداد ويعقوبا، وسيطر الجيش على سكة القطار التي تصلها ببغداد.

رأيت ان الامور ستسوء اذا لم تعزز دوريات الشرطة، بجعلها دوريات مختلطة من الشرطة ولجيش معا. فذهبت من فوري الى امر الانضباط العسكري العقيد طاهر محمد عارف، وكانت دائرة الانضباط تقع في (الاكمكخانة) في شارع المتنبي بجوار سوق السراي قريبا من مقر دائرتي، وبينت له فكرتي. فايدها، ووضع تحت تصرفي فصيلا من الانضباط العسكري، فوزعته على الدوريات. وبهذه الوسيلة لم تقع حادثة تذكر في بغداد. في نحو الساعة الثانية عشرة ظهرا، رجت في البلد اشاعة مفادها: ان وزارة ياسين الهاشمي قد استقالت، فعهد الملك الى حكمة سليمان تاليف وزارة جديدة. وان الجيش يزحف متقدما من بعقوبا الى العاصمة بقوة تتقدمها اربع دبابات، وثلاثون سيارة مسلحة، وتسعون سيارة تحمل جنودا مدججين بالسلاح، تتبعها الخيالة، والمداع.

في الساعة الثالثة بعد الظهر، تحقق سقوط وزارة الهاشمي، وتاليف وزارة جديدة برئاسة حكمة سليمان. وقام المحامون بمظاهرة سليمة، فامر حكمة سليمان بتفريقها. ثم قامت مظاهرة يقودها معلم اسمه عبد المنعم، وكان يهتف هو وجماعته: فليسقط الخائن الهاشمي. فلما علمت ان المتظاهرين ضايقوا دار ياسين الهاشمي، امرت معاون مدير الشرطة، محيي الدين، ان يفرقهم بالقوة، فتم تفريقهم. وبعد ذلك سارت ف بغداد وسائط نقل تحمل ضباط الطيران ، والناس تهتف لهم.

عند المساء، عسكرت قوة بكر صدقي على سد ناظم باشا، مقابل بغداد، وجاء بكر صدقي وضباطه المقربون الى النادي الملكي العسكري.

في الساعة السادسة مساء، جرت حفلة استيزار الوزارة الجديدة.

وهكذا تم بالقوة اسقاط الوزارة التي الفت بقوة العشائر، ولكن بقوة الجيش هذه المرة. وبذلك تحققت العدالة على قاعدة: "الجزاء من جنس العمل" . وانتهى يوم حافل بالاحداث.

وزارة حكمة سليمان

تأليف الوزارة الجديدة من:

حكمت سليمان، رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية.

ناجي الاصيل: وزيرا للخارجية

يوسف ابراهيم: وزيرا للمعارف

كامل الجادرجي: وزيرا للاقتصاد والمواصلات

صالح جبر: وزيرا للعدلية

جعفر ابو التمن: وزيرا للمالية

عبد اللطيف نوري: وزيرا للدفاع

واحتفظ بكر صدقي لنفسه بمنصب رئيس اركان الجيش، ولم يشترك في الوزارة.

في ٣٠ تشرين الاول ١٩٣٦، شاع ان جعفرا العسكري، وزير الدفاع في الوزارة المستقيلة، الذي ذهب امس الى بعقوبا ليتباحث مع بكر صدقي، مفقود. ثم تأيد انه قد قتل.

وفي مساء هذا اليوم، غادر العراق: ياسين الهاشمي، ورشيد عالي الكيلاني واخبرني امر سيارات الشرطة المسلحة التي رافقتهما الى الحدود انهما كانا غير مطمئنين بانهما سيخرجان من العراق سالمين.

في ٤ تشرين الثاني ١٩٣٦ وزع البريد رسائل بتوقيع "الجمعية الكردية الاصلاحية" الى شخصيات عراقية متعددة وانا من جملتهم، تقول: تجب مغادرتكم العراق خلال ثلاثة ايام من تاريخه، والا فمصيركم القتل، ولم اكن اهتم بمثل هذه الرسائل الا ان الاخرين الذين تلقوها اضطربوا خوفا، ومنهم من لزم بيته منذ الغروب، اضافة الى ذلك، حدثت اعتداءات كثيرة من اتباع بكر صدقي على بعض الشخصيات، فراجعوني بصفتي مديرا لشرطة بغداد.

ذهبت الى بكر صدقي في وزارة الدفاع، وعرضت عليه بعض الرسائل التهديد، وقلت له: ان الشائعات تقول: ان اتباعك هم وراء هذه الرسائل فاجابني، مبديا استغرابه، وطلب اجراء التحقيق لمعرفة مصدرها واتخاذ الاجراءات بحق من يثبت كونه وراءها كائنا من كان. وبعد ان ودعته، وكان يجلس في غرفته عدد من الضباط، عاتبني الفريق عبد اللطيف نوري، وزير الدفاع، على حديثي هذا مع الفريق بكر.

وبعدها رأيت نفسي في حيرة من هذا لتغير المفاجئ في مراكز القوى، وظهور مركز جديد يفوق سلطة الوزير او الوزارة، وهو مركز بكر صدقي شخصيا، واتباعه.

واصبحت محرجا بسبب منصبي بتاثير عاملين، احدهما: انني لا اريد ان اغش الناس واكذب عليهم، واقول لهم: اني قادر على المحافظة عليكم وحمايتكم من الاعتداءات، والعامل الاخر: اني لا اريد ان اغش الحكومة التي اشتغل فيها بالتقصير في اداء واجبي فاضطررت ان اسعى بكل قواي للتخلص من هذه الوظيفة، فتم لي ذلك.

وفي ٧ تشرين الثاني ١٩٣٦، ارجعت الى وظيفتي الاصلية، معاونا لمدير الشرطة العام لشعبة الحركات ولم يحدث لي في ايام هذه الوظيفة ما يستحق الذكر.

مديرية الشرطة العامة

شغلت منصب مدير الشرطة العام في ٦ حزيران ١٩٤٥ في ظروف صعبة، على اثر انهيار المانيا النازية واستسلامها للحلفاء في ٨ ايار ١٩٤٥، باعتبار ان العراق كان حليفا لبريطانيا في تلك الحرب، وتمرد الملا مصطفى البارزاني، وعزيز ملو، في شمال العراق، اضافة الى الواجبات الاعتيادية للشرطة. وعند تسلمي مهمات وظيفتي، وكان يتبعها اربع عشرة مديرية في الالوية، مضافا اليها:

مديرية شرطة السكك الحديدية.
مديرية شرطة الكمارك والمكوس
مديرية شرطة السفر والجنسية
مديرية شرطة الاقامة
مديرية شرطة المخابرة
مديرية شرطة المرور
مديرية شرطة القوة السيارة
مديرية مدارس الشرطة
مديرية شرطة البادية الشمالية
مديرية شرطة بادية الجزيرة

اما تشكيلات مقر مديرية الشرطة العامة، فكانت: رئاسة مفتشي الشرطة، يرأسها ضابط شرطة بدرجة معاون مدير عام

شعبة الحركات، ويرأسها ضابط شرطة بدرجة معاون مدير عام.

شعبة التحقيقات الجنائية، يرأسها ضابط شرطة بدرجة معاون مدير عام

شعبة الادارة، يرأسها ضابط شرطة بدرجة معاون مدير عام.

شعبة الميرة، يرأسها ضابط شرطة بدرجة معاون مدير عام

شعبة المحاكم، يرأسها نائب احكام بدرجة مدير شرطة

شعبة الصحة، يرأسها طبيب بدرجة رئيس صحة.

خطة العمل

لقد مارست العمل في مسلك الشرطة اربعا

انقلاب بكر صدقي

ادون هنا احداص يوم الخميس ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٦.

في الساعة الثامنة صباحا، كنت في محطة قطار شمالي بغداد بالقرب من باب المعظم (محطة كركوك) للمشاركة في استقبال وزير حربية الافغان، ورئيس اركان جيشها. وكان في استقبالها. وزير الخارجية ووزير الدفاع، ووكيل رئيس اركان الجيش ومتصرف لواء بغداد، وأمين العاصمة، ومعاون رئيس التشريفات في البلاط، وسرية من الجيش مع الموسيقى.

في الساعة الثامنة والنصف، وصل القطار، وفوقه رف من الطائرات عددها سبع، وصدحت الموسيقى بالسلامين الملكين، الافغاني، والعراقي. وقدمنا وزير الخارجية الى الزائرين. فلما انتهت هذه المراسم، رجعت الى الدائرة، واذا بطائرات ظننتها اول الامر من الطائرات المشاركة في الإستقبال، تلقي من الجو منشورات بتوقيع "قائد القوة الوطنية الاصلاحية" الفريق بكر صدقي، يطلب فيها من الشعب معاضدة الجيش وقاذته في طلبهم من الملك غازي اقالة الوزارة القائمة، وتأليف وزارة برئاسة حكمة سليمان.

كما قام بعض الضباط بتوزيع هذه المناشير في الاسواق والدوائر الرسمية. اتصلت هاتفيا بوكيل مدير الشرطة العام وبالمتصرف وبوزير الداخلية، فقيل لي: انهم في البلاط. فطلبت من رئيس الكتاب في دائرتي، توجيه كتاب الى الجهات لرسمية يرفق به المنشور، لكي احمله الى المجتمعين في البلاط. وصلت الى البلاط ومعي المنشور، فوجدت رستم حيدر، رئيس الديوان

ايام الشرطة في بغداد

وعشرين سنة، امضيتها في شمالي العراق وجنوبه وفي شرقه وغربه، في البوادي والمدن، واكتسبت خبرة عن محاسنه ومساوئه، حتى توليت منصب مدير الشرطة العام. واذا كنت قد رسمت خطة، وعينت لها اهدافا، فان ذلك لم يكن ارتجالا، وانما كان نتيجة تفكير يعتمد على التجربة، وقد رميت بخطتي الى هذه الاهداف.

١. رفع مستوى ضباط هذا المسلك، وافراده.

٢. تقوية قوات الشرطة، وجعلها قادرة على القيام بالواجبات التي يترتب عليها اداؤها.

٣. جعل الشرطة خادمة الشعب حقا وصدقا.

ومن هدف رفع مستوى رجال الشرطة، وضعت امام ناظري تأهيل جميع ضباط ومفوضي الشرطة بادخالهم في دورات تخصصية، وممارستهم قيادة قوة مسلحة في الحركات ضمن تشكيلات شرطة القوة السيارة. وقد البت على نفسي ان لا ارفع معاون مدير شرطة الى درجة مدير ما لم يجتز دورة الضباط العليا اولا. ثم يقود بنجاح فوجا من افواج شرطة القوة السيارة ثانيا، حتى يصبح معلوما ان التعلم والثقافة والتجربة العملية هي الطريق الوحيد للتقدم.

وقد حدث ان طلب وزير الداخلية مني ترقية بهجة العطية، وكيل مدير شرطة لواء الديوانية، واكد الطلب توفيق النائب متصرف لواء الديوانية بالحاح، فرفضت ترفيعه، واصررت على التمسك بخطتي بانه لا سبيل الى ترفيعه ما لم يدخل الدورة وينجح فيها، وفي قيادة فوج من افواج شرطة القوة السيارة، ومن ثم يرفع ويعاد الى الديوانية. ولم يرفع مدة وجودي في مديرية الشرطة العامة، ليس لأنه لا يستحق الترفيع، بل من اجل التزام الخطة التي رسمتها لرفع المستوى المهني والكفاية العملية لرجال هذا المسلك. ولكي يعلم رجال الشرطة الآخرون ان هذا الأمر لا يخضع للمؤثرات ولا يستثنى منه احد.

كما اذكر في هذا المجال حادثة اخرى: كنت قد ذهبت بصحبة وزير الداخلية الى شمالي العراق في اثناء العصيان، وكانت دورة المفوضين البالغ عددهم خمس مئة تلميذ قد تخرجوا، فامرت بتوزيعهم على افواج الشرطة في منطقة الحركات في الشمال، وطلبت من صالح حمام، وكيل مدير الشرطة العام يومئذ، ان يسفرهم جميعا لتتسنى لبدائلهم العودة الى بغداد والالوية الاخرى. فلما عدت الى بغداد، وجدت انه قد جرى توزيعهم جميعا، عدا المفوض شهاب المختار، فاستفسرت من صالح حمام عن سبب تأخيره، فاجاب: ان توفيق السويدي، رئيس الوزراء، قد طلب منه ذلك. فلمته على استجابته لطلب رئيس الوزراء، لأن هذا الموضوع من صميم واجباتنا، وليس لاحد التدخل فيه. وافهمته ان عليه ان يسفره ذلك المساء، رضي رئيس الوزراء ام لم يرض فسفره من غير تلكؤ.

ولتقوية قوات الشرطة، ولا سيما القوة السيارة وجعلها قادرة على القيام بواجباتها، اعتنيت بتعليمها وتدريبها على وفق النظام المتبع في الجيش، اذ جعلتها تضم ثلاثة الوية، يتالف كل لواء من ثلاثة افواج. ووزعت الالوية الثلاثة بحيث يكون احدها في الشمال، والثاني في الوسط، والثالث في الجنوب، وجعلت في مقر القوة السيارة في بغداد فوجا اليا، متهيأ للحركة بكامل افراده وتجهيزاته الى اي مكان اخر.

كما اعتنيت باحداث جوق موسيقي للشرطة، واحداث فرق رياضية، وجعلت لها ملاكات ثابتة في مدرسة الشرطة، من غير التلاميذ الذين يلتحقون بدوراتها.

ومن اجل تحقيق الهدف في جعل الشرطة خادمة للشعب، كنت اتابع سلوك رجال الشرطة مع عامة الشعب فاتحا ابواب دائرتي لكل مراجع في اي وقت شاء، لأتعرف سيرة الشرطة وسمعتها بين الناس ولاتدخل في الوقت الملائم. واذكر حوادث كثيرة وصلت الى علمي واتخذت فيها الاجراءات المناسبة. فقد علمت ان معاون شرطة العبخانة قد اعتدى على شواء (معاليق) جوال، فأمرت بحرمانه من الترقية لمدة سنتين، لم اسمح بالشفاعات والوساطات التي قدمت بحقه، ليكون عبرة لغيره.

ولأن اكثر المشكلات التي تحدث بين افراد الشعب والشرطة، سببها سوء تصرف بعض الجهلة من افراد الشرطة، حصرت المعاملات التي تخص عامة الشعب (مثل: التبليغ، والاستقدام، والتفتيش، ومسك الدفاتر اليومية) برجال شرطة متعلمين ممن حصلوا على شهادة الدراسة الابتدائية في الاقل. وقدمت الى وزارة الداخلية مقترحا بتاليف شرطة ممتازة لهذا الغرض، ومنحهم امتيازات كقبول المتفوقين منهم في مدارس الشرطة حتى الدورات العالية فيها، وذلك بقصد اغراء الطامحين منهم بهذه الفرص التي تلبي امانيهم.

واجتهدت ان يكون لمن يشتغل محققا في الشرطة مدة عشرين سنة فاكثر، بعد تركه الخدمة، حق مزاولة المحاماة في القضايا الجزائية، اسوة بالقضاة الشرعيين – من غير خريجي كلية الحقوق – الذين يزاولون المحاماة في القضايا الشرعية بعد تركهم الوظيفة، وان تكون لضباط الشرطة رتب عسكرية وقتية توازي رتب اقرانهم في الجيش، ورواتب تقاعدية مساوية لضباط الجيش، ذلك لأن (الجندرمة والدرك) في الدول و(جندرمة) في آن واحد، فيكون لها الحق في المطالبة بمثل هذه الحقوق. غير انني – يا للاسف – لم استطع تحقيق هذه الامور على الرغم من الجهود التي بذلتها، لقصر المدة التي بقيتها في هذا المنصب، وانشغالي بالحركات في شمالي العراق. واني ، اذا اذنوها، اطمح ان يعمل الذين يتولون امور الشرطة من بعدي لتحقيق هذه الامور التي سيكون لها اثر كبير في تطوير الشرطة العراقية ، ولاريب.

الانتقال من مديرية الشرطة العامة

بعد استقالة وزارة توفيق السويدي، خلفتها في الحكم وزارة ارشد العمري في ١ حزيران ١٩٤٦. ومن خلال تنفيذ الواجبات الوظيفية المنوطة بي، كنت الاحظ صدور بعض الاوامر الجافة والشديدة من رئيس الوزراء شخصيا، فاجد صعوبة في تنفيذها.

واذكر من هذه الاوامر الحادثة الاتية: طلبني ارشد العمري، رئيس الوزراء، فقال لي: اريد ان تاتيني بمدير جريدة لواء الاستقلال (بالجالايق). فعدت الى مقري، واتصلت بمدير شرطة لواء بغداد، مزاحم ماهر، فطلبت منه احضار مدير جريدة لواء الاستقلال، المحامي قاسم حمودي وتبليغه الذهاب الى رئيس الوزراء لمواجهته. وبعد ساعة من الزمن، اخبرني مدير الشرطة: ان مدير الجريدة حاضر عنده، وهو يرفض الذهاب الى رئيس الوزراء وكان علي ان ابلغه بامر رئيس الوزراء لاخذه بالقوة. ولكني طلبت منه ان يعطيه الهاتف لاتكلم معه. وقلت له: لماذا انت ممتنع عن مقابلة رئيس الوزراء؟ اجاب: اني منتسب الى حزب، ولا استطيع الذهاب الى رئيس الوزراء، الا بعد استئذان من الحزب. فاستفسرت منه عن المخول باعطاء الاذن، فقال: رئيس الحب، او امين السر. فقلت له: ارجو ان تبقى عند مدير الشرطة الى ان اكلمك، او يكلمك امين سر الحزب. واخذت افتش بالهاتف، عن داود السعدي، امين سر الحزب، فاستطعت ان اتصل به بعد ساعة من انتهاء الدوام الرسمين وقلت له: اكسر فتنة، وبلغ قاسم حمودي ان يواجه رئيس الوزراء ، فاستجاب لطلبي.

استمرت امثال هذه الحالات تواجهني من جراء اوامر ارشد العمري الغليظة، واصبح من المتعذر علي الجمع بين مصالح الناس واوامر الحكومة. وبت اتوقع حصول مشكلات متعبة لي، او نقلي. وكما توقعت ، فقد طلبني رئيس الوزراء، وبعد ان حرت لعنده، قال لي بلهجة موصلية: "عندنا قدعات نريد نشبلها على راس واحد غيرك"، اي : عندنا اثقال ومتاعب نريد ان نلقيها على احد غيرك فقلت له: يسرني ذلك. فقال باللهجة ذاتها: كوي اخاف اني تزعل، ولهذا حضرت لك وظيفة مدير السجون العام، او متصرف لواء ديالى، ولكن قل لي : ليش صرت مسرور؟" قلت له: اهل عانة، يقولون: كلما قلت الشياطين تستريح الملائكة، وما ريده انا اجازة لمدة ١٢٠ يوما . قال: لا بد من وظيفة قلت: اذا كان لابد من وظيفة، فعمادة مدرسة الشرطة العالية. فاصدر امره الى مدير الداخلية العام بان يرتب الاجازة اولا، وامر النقل ثانيا، وهكذا نقلت من مديرية الشرطة العامة في ٢٨ ايلول ١٩٤٦ الى عمادة مدرسة الشرطة العالية.

عمادة مدرسة الشرطة العالية

وليت هذه العمادة من ٢٨ ايلول ١٩٤٦ الى ٨ حزيران ١٩٤٧، ثم من ٢٥ كانون الاول ١٩٤٨ الى ٣٠ حزران ١٩٥٥. كنت منذ اشتغالي معاونا لمدير الشرطة العام، داعيا الى احداث مدرسة شرطة عالية، ليتخرج فيها ضباط مثقفون مزودون بالمعلومات القانونية والعسكرية التي تؤهلهم لأن يمارسوا واجبات ضباط الشرطة. وقد اقترحت ان تكون مدرسة الشرطة مؤسسة تضم مستويات دراسية متعددة، تبدأ بقبول طلاب الصفوف الرابعة الابتدائية لمدة سنتين يرحل الناجحون منهم الى القسم الاعدادي فيها المختص بتخريج المفوضين، ويقبل المتفوقون من الخريجين من المفوضين في القسم العالي، مع المتقدمين الأخرين من حملة شهادة الدراسة الاعدادية. ولما نقلت من مديرية الشرطة العامة، واخترت وظيفة عميد مدرسة الشرطة العالية، تحقق لي ما كنت اصبو اليه لتفرغ في خدمة هذه المؤسسة متطلعا، كاول عميد له، في جعلها كلية يتخرج فيها ضباط كفاة. ومنذ ان باشرت عملي وضعت امام ناظري ثلاثة امور مهمة: الامر الاول، ان لا يقبل طالب ما لم يكن من خيرة التلاميذ سمعة وكفاية عليمة ولياقة بدنية، والامر الثاني، اعداد منهج دراسي وتدريبي كامل وتصديقه من الوزارتن والامر الثالث، ان يكون جميع الاساتذة والمدرسين والمحاضرين من ذوي الاختصاص. لهذا قمت بما يأتي:

اولا: الفت لجنة برئاستي لقبول الطلاب، بعد اجراء المقابلة وتطبيق شروط القبول باعتماد الدرجات التي حصلوا عليها في الامتحان العام للدراسة الاعدادية. ولم اعط مجالا لغبن احد، ولم التفت لتوصية وزير او مسؤول للخروج على هذه القاعدة. وقد طلب مني وزيران للداخلية، في اوقات مختلفة، قبول بعض التلاميذ، فاجبت كل واحد منها: انني انظر الى درجاتهم اولا. فاتفق ان كانت درجات الموصى بهم اقل من المطلوب بخمس درجات، فلم يقبلوا. ولم المس تبرما من الوزيرين في تطبيق العدالة.

ثانيا: كلفت الاساتذة والمدرسين ان يقدم كل واحد منهم موضوعات المادة التي يدرسها. وبعد ان تم جمع هذه المواد، الفت لجنة منهم لتنظيم منهج الدراسة، وصدقته الوزارة. فاصبح لها منهج ثابت خاص بها.

ثالثا: بذلت جهودا شخصية، وشخصت امامي عقبات كثيرة، حتى تمكنت او اوفر اساتذة ومدرسين ومحاضرين من ذوي الكفاية والاختصاص في الموضوعات التي يدرسونها في هذه المدرسة العالية. ولم استرح الا بعد ان تاكدت من سلامة التدريس والتدريب العسكري وجودتهما على وفق النظم والمناهج العسكرية المعتمدة في المدارس العسكرية التابعة لوزارة الدفاع وبالمستوى ذاته. وكان مدرسو التعبية والموضوعات العسكرية الاخرى من خيرة الضباط العسكريين في الجيش.

وقد استطاعت مدرسة الشرطة العالية (كلية الشرطة) ومدرسة المفوضين (اعدادية الشرطة) ان تمدا الشرطة العراقية بالعدد الذي تحتاج اليه من الضباط والمفوضين، وكذلك من ضباط الصف الذين تفتح لهم دورات خاصة في مدارس الشرطة.

ووالیت عنایتي بالقبول والامتحان واختيار الاساتذة والمدرسين والمحاضرين، وانا اعد ذلك من الامور الاساسية التي اهتم بها وامارسها. وقد ساعدني، وسهل كثيرا علي في تجاوز العقبات ن اعتمادي على المراجعات والعلاقات الشخصية، والدعم الذي كنت احظى به من ضباط الشرطة والمراجع العليا. فكنت سعيدا في مراقبة تطور هذه المؤسسة، التي خدمت فيها وظائفي في الدولة، واحلت منها على التقاعد مرتاحا ومطمئنا الى انها اصبحت قادرة على اعداد رجال شرطة كفاة يخدمون بلادهم على مر الايام.

وزارة حكمت سليمان في ايامها الاخيرة

عبد الفتاح الباقي

حكمت الوزارة السليمانية بلاد العراق طيلة ثمانية اشهر وعشرين يوما، فكان عهدها من افظع العهود التي عرفتها تلك البلاد. لذلك كان من البديهي ان تحاك المؤامرات في الخفاء كما سبق القول للقضاء على هذا العهد المظلم وعلى ما رافقه من فوضى وظلم وتنكيل، وتعددت المؤامرات في الديوانية والموصل وكركوك بهمة رجال الجيش الذين كان بكر صدقي قد ابعدهم عن بغداد لا لسبب الا لانهم عرب لا يطمئن اليهم اطمئنانه الى ابناء طينته الكرد. وامتدت شبكة المؤامرات شيئا فشيئا الى خارج العراق، الى سوريا ولبنان، حتى اذا فشلت هناك نجحت هنا وكان ما يريده الشعب العراقي من خلاص.

كل هذا كان يجري في جو من السكينة والحماسة، حتى فارّت الموصل، قبل غيرها من المناطق، بالامنية العزيزة على قلب كل عراقي فقتل بكر صدقي فيها، على الرغم من كل ما اتخذ من تدابير احتياطية للمحافظة على نفسه.

وعندما اتصل هذا النبأ بمسامع حكمت سليمان طغت عليه موجة من الغم والقلق، ولكنه اراد ان يقوم بمحاولة اخيرة للبقاء في كرسي الحكم فراح يتعمد القول ان مصرع بكر صدقي حادث شخصي لا علاقة له بسياسة الوزارة. ولكن محاولته هذه ذهبت سدى اذ ادرك الجميع ان بكر صدقي لم يقتل الا لانه اراد اغتصاب الحكم مصبوغا بدم الشهيد جعفر العسكري. وان حكمت سابان كان يساهم معه في ايصال العراق الى هذا المصير المؤلم.

وبعد ان وصلت جثثا بكر صدقي ومحمد علي جواد الى بغداد بالطيارة تحقق الشعب العراقي صحة النبأ فغمرته موجة من الارتياح كانه تخلص من خطر اكيد، وراح يقوم بالتظاهرات الكبرى للمطالبة باسقاط الوزارة السليمانية. الا ان بعض المشاغبين اراد ان يجر البلاد الى ثورة عامة لايعرف نتيجتها الا الله ، فباء بالفشل لان الشعب العراقي عرف ان يحتفظ برباطة جأشه فبرغم الوزارة على الاستقالة دون ان يكون هناك حاجة لاراقة قطرة من الدم.

اما حكمت سلمان فقد وجد نفسه في مأزق حرج، فهو لايريد التخلي عن لذة الحكم التي طالما سعى اليها، ولا يستطيع من جهة اخرى ان يستمر متمتعا بهذه اللذة دون ان يعرض نفسه لمثل المصير الذي صار اليه سيده بكر صدقي. فما العمل؟ وبعد اجهاد الفكر رأى، بثاقب بصيرته.. ان الوسيلة الوحيدة للخروج من هذا المأزق الحرج ان يحمتي في قصر الملك. ولكن هل يحمتي في هذا القصر طيلة مدة حكمه؟ لا!

وخرج حكمت سليمان من ماواه ليقوم بمحاولة اخيرة هي استمالة الجيش اليه، ولهذه الغاية اعلن ان الحكومة ستحاكم قاتل بكر صدقي وطلب ارسال هذا القاتل من الموصل الى بغداد مع الضباط الثلاثة الذين اشتركوا في الحادث وهم: محمود هندي من سلاح الطيران وموسى علي آمر سرب الطيران في الموصل، واحمد عزيز من كتيبة الخيالة في الموصل. وجميعهم تحت قيادة امير اللواء محمد امين باشا العمري الذي كان من اشد الناس اخلاصا للشهيد جعفر ونقمة على قاتليه.

ولكن الجيش في الموصل ابى الاذعان لطلب حكمت سليمان وارسل يقول له: ان القاتل ليس هذا ولا ذاك من الجنود والضباط، بل القاتل هو الجيش!

وضمن رسالته هذه انذارا بوجوب استقالة الوزارة فورا لتحل محلها وزارة يرضى العراق عنها شعبا وجيشا. وفي الوقت نفسه استولى الجيش على جميع فروع الادارة في الموصل، وعلى ادارة الكاز، وقطع جميع المواصلات مع المناطق الاخرى، معلنا بذلك انه يابى التعاون مع تلك الحكومة.

وانهالت على الملك برقيات من جميع الجهات بتأييد موقف الجيش الذي عرف ان يغسل صفعة العار عن جبينه.

ولكن كل هذا لم يكن كافيا لحمل حكمت سليمان على الانسحاب من الحكم لانه كان مصمما النية على المضي في عناده حتى النهاية. فراح يحاول الاتفاق مع اسماعيل حقي الاغا، وكيل رئيس الغرفة في بغداد، طالبا اليه ان يدعم مركزه الضعيف المتضعضع. واسماعيل حقي الاغا هو من الكرد الذين التفوا حول بكر صدقي في ايام حكمه ، فاغدق عليهم الخيرات ورفعهم الى اعلى المناصب، فلا غرو اذا حاول دعم مركز حكمت سليمان، ولا غرو اذا راح يتبجح امام ضباط فرقته ويقول لهم "انه على استعداد لتربية جيش الموصل.." الا ان ضباط هذه الفرقة اجمعوا على الهزء به، وارغموه على التخلي عن منصبه ، ومغادرة العراق الى لبنان. فحل محله في وكالة رئاسة الغرفة سعيد بك التكريتي المعروف بنزعته العربية الصادقة واخلاصه لفخامة نوري باشا السعيد. وهو من قبائل سعادة مولود باشا مخلص.

ولما رأى حكمت سليمان ان جميع محاولاته تذهب كالهباء المنثور ارسل آخر سهم في كنانته فطلب من فخامة جميل بك المدفعي ان يعود من لبنان للمساهمة في معالجة الموقف الدقيق، وعلى الاثر توجه المدفعي الى دمشق حيث استقل طيارة الى بغداد.

وعند وصوله الى بغداد كان في استقباله مئتا سيارة بينها واحدة جلس فيها حكمت سليمان. فتذكر في تلك الساعة دون ريب انه عندما غادر العراق منذ شهور قليلة لم يكن في وداعه الا اربعة من اقرب اصدقائه اليه. فسبحان الذي يغير ولايتغير!

نزل فخامة المدفعي من الطائرة، وكان في انتظاره سيارة ملكية استقلها وتوجه فورا للاشتراك في مناقشات مجلس الوزراء الذي كان منعقدا في تلك الساعة. وبعد ساعة من الزمن فضت جلسة المجلس، فخرج المدفعي وقصد الى البلاط حيث اجتمع بالملك ما يزيد على الساعة ثم انصرف للاجتماع بمعالي مصطفى بك العمري.

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان حكمت سليمان كان قد اتفق مع وكيل وزارة الدفاع علي محمود الشيخ على مقاومة حركة الجيش في الموصل والقاء القبض على امير اللواء امين باشا العمري. فجمع مجلس الوزراء وعرض عليهم فكرته هذه طالبا الموافقة عليها لتنفيذها ولكن بعض الوزراء مما لم تكن قد اعمتهم شهوة الحكم ادركوا ان مثل هذا العمل يؤدي حتما الى حرب اهلية طاحنة لا تبقي ولا تذر فخالفوا رأي رئيسهم، وفضلوا الانسحاب من الوزارة خوفا من المواقف. وهؤلاء الوزراء هم السادة مصطفى بك العمري وزير الداخلية والسيد عباس مهدي وزير الاقتصاد والسيد جعفر حمدي وزير المعارف.

وكان الجيش في العراق، على اثر انتخاب سعيد بك التكريتي وكيلا لرئيس الفرقة بدلا من اسماعيل حقي الاغا، قد عقد اجتماعا في معسكر الوشاش قرب بغداد، وقرر المافقة على مطالب جيش الموصل وانذار الوزارة السليمانية بوجوب الانسحاب في مدة معينة، فكان هذا العمل ضربة اخيرة قاضية على آمال حكمت سليمان. ومع هذا كله ظن انه لم يعدم كل وسيلة، فنوجه بنفسه الى معسكر الوشاش قبل انقضاء مهلة الانذار، مصحوبا بوكيل وزارة الدفاع علي محمود الشيخ. وهناك اجتمع بالسيد سعيد بك التكريتي ودار بينهما حديث حول الرجوع عن الانذار، ولكن السيد التكريتي افهمه ان مساعيه فاشلة وان الجيش قال كلمته الاخيرة ولن يعود عنها.

وكان المقدم صلاح الدين بك الصباغ حاضرا ذلك الاجتماع فخاطب حكمت سليمان قائلا ان كل فرد من افراد الشعب يعتبر نفسه مشتركا بمقتل الطاغية بكر صدقي، وانه لا وجود لاثر من شعور التأثر عليه الا في نفس شركائه في الجريمة.

ثم صرخ في وجهه:

– وبعد هذا كله، ما هو هذا الاعوجاج ؟.. اتريدون محاكمة قتلة بكري صدقي الذي جر على العراق مختلف المصائب، وتتركون قتلة جعفر العسكري يسرحون ويمرحون في الشوارع ويتمتعون بانواع الملذات ويسعدون؟ ان هذا الامر يستحيل قبوله !...

عندئذ وقف حكمت سليمان واثر الصفعة لايزال عالقا في جبينه، وتوجه الى البلاط حيث قابل الملك وقدم اليه استقالة الوزارة.

نوري السعيد

مصطفى العمري

صلاح الدين الصباغ

جعفر العسكري

جميل المدفعي

والذكريات صدى السنين الحاكي

"النزيزة" محلة.. والجاموس يسبح في "المجيدية"!!

صادق الازدي

في القاموس ان "النزيز" هو الظريف والخفيف الكثير التحرك، و"نز" نزا ونزيزا، وانز المكان، صادر ذا نز، والنز وجمعه نزوز ما يتحلب من الارض من الماء.

و"النزيزة" كانت محلة بغدادية، وقد جاء اسمها من كثرة الماء المتجمع في ارضها وكان مما تلفظه لاسباب اهمها انخفاض مستواها عن ما يجاورها ثم تشبع الارض المحيطة بها بالمياه بسبب فيضان دجلة، ولوجود خزانات المياه القذرة في الدور.

محلة "النزيزة"

وكانت محلة "النزيزة" التي قامت في اواخر العشرينات واوائل الثلاثينات.. كانت تقع غير بعيد عن باب المعظم، وكانت تبدأ من مقابل موقع الغريبة المتوسطة بامتداد "شارع الكفاح" حتى الشيخ عمر، هذا بالنسبة لطولها، اما عرضها فيبدأ من باب المعظم حتى "الكرنتينة" ويمتد حتى محطة السكك الحديد التي كانت تجاور الوزيرية.

فقراء بغداد..

وكانت "محلة النزيزة" فقيرة بكل ما فيها ومن فيها، فان كل سكانها كانوا من الكادحين الذين يزاولون حرفا لا تتطلب مهارة، ومعظمهم كانوا من اوائل الفلاحين الهاربين من ظلم الاقطاعيين، وكانت جميع بيوتهم التي اقاموها في "النزيزة" ليست غير اكواخ او من البيوت الطينية، وكان يعيش معهم في المحلة بعض العوائل الفقيرة التي كانت تعيش قبلهم في بغداد!!.

وفي الواقع ان "محلة النزيزة" كثيرة النسبة بما كان عليه الحال خلف السدة الشرقية اثناء الحرب العالمية الثانية، ولكن عدد سكان ما خلف السدة كان اكثر عدة مرات من عدد سكان "النزيزة" بعد ان تزايد عدد الهاربين من الفلاحين، وبعد ان تضاعف عدد نفوس ابناء العراق، فكان من الطبيعي ان يتزايد عدد الهاربين من الاقطاع اثناء الحرب عما كان عليه الحال في العشرينات، ذلك لأن الاعمال كانت متوفرة في بغداد وخاصة الاعمال التي لا تتطلب المهارة، فازداد عدد القادمين الى بغداد.

وقد وصلت موجات الهجرة الى مدن اخرى كانت بحاجة الى الايدي العاملة الرخيصة!.

حالة مزرية!!

وكانت الحالة العامة في "محلة النزيزة" مزرية للغاية.. فالبيوت كئيبة.. وحالة سكانها تدعو الى الاسف، وكان سكان تلك المحلة يشربون الماء من حنفيتين او ثلاثة ثم نصبها في المحلة.

ولم يكن في الحي كله مركز صحي واحد، وكان الحي يفتقر الى مدرسة.. وهكذا كان كل ما في "محلة النزيزة" لا يتفق وما صارت بغداد تنعم به من قصور اقيمت غير بعيدة عن "النزيزة" في الوزيرية مثلا وفي العيواضية ناهيك عن الباب الشرقي وغيره، وهكذا عمدت السلطة يومذاك الى ترحيل سكان تلك المحلة ، فاستقروا في منتصف الثلاثينات خلف السدة الشرقية ليتعرضوا لمياه الفيضان عندما كان دجلة يثور في الربيع.

الجاموس والمستشفى

كانت "محلة النزيزة" تقع على مقربة من الفضل، المحلة البغدادية المعروفة، وكانت تقوم في نهاية محلة الفضل، منطقة خاصة بالمعدان وجواميسهم، هذا اضافة الى ما صار يربيه بعض سكان النزيزة من جاموس، ولما كان الجاموس يحب المياه فقد كانوا ياخذونه من الفضل والنزيزة الى ساحل النهر الذي عرفناه باسم "شريعة المجيدية" التي كانت تطل عليها مستشفى المجيدية "المستشفى الملكي" وهنا يسبح الجاموس، وكان يمر في ذهابه الى النهر، ثم ايابه منه بباب المعظم، فشارع الرازي ثم النهر!.

السباحة مع الجاموس!!

وكانت شريعة المجيدية من الشرائع التي يقصدها بعض سكان بغداد للسباحة فيها، فكان من الطبيعي ان يسبحوا على مقربة من الجواميس الغاطسة في الماء ولم يكن غريبا ان نرى احد "الجراديغ" التي تعد لاستقبال هواة السباحة فيمارسون هوايتهم قرب الجاموس!.

وكان كثرة من ابناء المحلات البغدادية القريبة من الفضل والقره غول يفضلون السبح في "المجيدية" لان ساحل المجيدية الرملي يمتد حتى نصف النهر، اما النصف الآخر من ناحية الجعيفر في الكرخ فهو الاكثر عمقا!.

الجرائد والجاموس ..

وكانت جريدة "الطريق" اول الجرائد التي كتبت عن الجاموس الذي يذهب الى النهر كل يوم ويعود منه، ذلك لأن ادارتها كانت تقع في المكان الذي تم اقامة مستشفى حماية الاطفال عليه.

وبعد ان صدرت جريدة "الزمان" بدلا من جريدة الطريق، صارت تكتب عن الجواميس، وقد نشرت جريدة "حزبوز" عدة طرائف عن ذلك ولما صدرت جريدة "الحوادث" بعد عام ١٩٤١، وصارت تنشر عمودها الذي كسب شهرة وعنوانه هو "احاديث واشاعات وتعليقات" صار صاحب الحوادث ينشر النكات عن الجاموس وموقف المرحوم توفيق السمعاني صاحب جريدة الزمان من ذلك "الوجود الجاموسي" في قلب مدينة بغداد!.

عن جريدة البلد

1965

عزيز المصري

عندما قرر الانضمام لثورة مايس

الفريق كان مراقبا من جانب المخابرات الانكليزية والمصرية فوقع في الأسر!

محمود شبيب

لم يكن "عزيز علي المصري" شخصية اعتيادية بل ان اسمه وسجل كفاحه الطويل، مرتبطان بقوة مع مجمل التاريخ الحديث للشعب العربي قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها واثناء الحرب الثانية حتى انه نال لقب "ابو الاحرار" وكان كل ضابط في الجيش المصري، خاصة الشباب يتمنى ان تكون له صلة به او التتلمذ على يديه.

ولد "المصري" الذي قال في اكثر من مناسبة انه من اصل عراقي، في "القاهرة" عام ١٨٨٠ ووالده هو "الشيخ علي المصري" وقد اطلق عليه هذا اللقب تمييزا له عن جار تركي اسمه الشيخ علي ايضا وبعد ان تلقى الفتى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارس القاهرة، غادرها الى "اسطنبول" حيث نال القبول في الكلية الحربية ومما ساعده على ذلك اتقانه للغة التركية ووجود اقارب له من ذوي النفوذ هناك.

تجربة واسعة

وعندما تخرج "المصري" من الكلية الحربية ، دخل كلية الإركان حيث زامل عددا من الطلاب العراقيين بينهم "ياسين الهاشمي" و"جعفر العسكري" و"علي جودت" وغيرهم، اما تجربته الواسعة في مجالي العسكرية والسياسة. فقد بدات عندما التحق باحدى وحدات الجيش الثالث ومقر قيادته في سالونيك (مدينة يونانية) وكان "محمود شوكت باشا" وهو اخ غير شقيق للسياسي العراقي "حكمت سليمان" والملقب "البغدادي" هو القائد العام لهذا الجيش.

ومن ثم كلف "المصري" بقيادة قوة عثمانية وقع على عاتقها اخضاع حركات تمرد في الجبل الاسود (احد اقسام يوغوسلافيا حاليا) وفي البانيا، وخلال اربعة اعوام من الخبرة العملية في مواجهة هذا النوع من الحركات، نمت شخصية "عزيز المصري" وعرضته المخاطر التي واجهها لنوع من القطنة النادرة، التي اخرجته من مأزق كثيرة.

الاطاحة بالسلطان

ولايوجد ما يشير بدقة الى الدور الذي لعبه "المصري" في العملية الانقلابية التي قادها "شوكت باشا" وادت الى الاطاحة بالسلطان "عبد الحميد" الا ان الثابت انه ساهم بها وابدى رضاه عنها، ومع ذلك، فانه سرعان ما اختلف مع السلطة الجديدة التي ابدت تطرفا في اتباع سياسة "التتريك" فكان ذلك بداية لتأسيس جمعية "العهد" وعلى يد "عزيز" بالذات والتي ضمت معظم الضباط العرب الكبار في الجيش العثماني.

وبعد ان حارب "المصري" الايطاليين الذي غزوا "ليبيا" عام ١٩١١ ولبث فترة من الوقت في "اليمن" عاد ادراجه الى "اسطنبول" حيث القى القبض عليه عام ١٩١٤ وصدر الحكم باعدامه بعد اتهامه بانه العقل المدبر لاقامة جمعية "العهد" بيد ان حملات الاحتجاج الواسعة الناطق في شتى ارجاء العالم الاسلامي ادت الى الافراج عنه بعد شهود ولكن بعد اقصائه من الخدمة في الجيش وبشرط ان يغادر حاضره الخلافة في الحال.

سنوات في العراق

وعندما قامت الثورة "الحجازية" بقيادة "الحسين" شريف "مكة" عام ١٩١٦ انضم "المصري" اليها واصبح رئيسا لاركان الجيش العربي الى ان حدثت بعض الخلافات والملابسات التي ادت الى استقالته من منصبه وعودته الى مصر. وان كانت تجربته في "الحجاز" قد ادت الى توثيق علاقته بعدد كبير من الضباط العراقيين الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للكادر القيادي للثورة.

وفي عام ١٩٢٢، ارتأى "المصري" الاستقرار فترة من الوقت في "العراق" حيث استمر ذلك الى عام ١٩٢٦ فازدادت معرفته باحوال "العراق" ، وبعد استدعائه الى "مصر" شغل عدة مناصب منها مدير "كلية البوليس" ومن ثم زار "بغداد" ايام وزارة "ياسين" عام ١٩٣٦ حيث تبادلا المشورة من ناحية توفير الدعم الكافي للثورة الفلسطينية التي اندلعت تلك السنة، وهنا اقام "المصري" علاقة صداقة شخصية وطيدة مع "رشيد عالي الكيلاني" الذي تزعم ثورة مايس ١٩٤١. ولقد ادت مؤازرة "عزيز" للكثير من القضايا واهمها قضية التحرير العربي الى تصاعد شعبيته لدى الضباط الشباب الذين كانوا يضمرون الكراهية للانكليز.

الى بغداد

بعد كل هذه الخلفية، لم يكن من الامور المستغربة ان يفكر "المصري" في اشعال ثورة مصرية بوجه الانكليز الذين اصبحوا في وضع ضعيف جدا على ضوء الهزائم التي الحقها بهم الالمان في شمال افريقيا بقيادة الجنرال "روميل" الملقب "ثعلب الصحراء" بيد ان القضية اتخذت مسارا اخر.

ففي بداية نيسان ١٩٤١، قام ضباط الجيش العراقي، وعلى رأسهم "الصباغ" و "محمود سلمان" و"فهمي سعيد" و"كامل شبيب" بانقلاب عسكري اسفر عن الاطاحة بالوصي "عبد الاله" والاتيان بحكومة "الدفاع الوطني" برئاسة "الكيلاني" وهنا ارتأى "المصري" ان واجبه يدعوه الى الانضمام الى الثورة مهما كانت الصعاب التي قد تقف في وجهه مع علمه التام بانه كان موضوعا، ومنذ امد طويل، تحت مراقبة المخابرات الانكليزية والمصرية.

وعلى اية حال، فقد استطاع "عزيز" تدبير خطة، بدت ناجحة لاول وهلة لمغادة "مصر" الى "بغداد" وكانت هذه الخطة تقضي بالاستيلاء، على طائرة صغيرة بالتعاون مع عدد من ضباط سلاح الطيران ، وجلبها الى نقطة تقع بين "القاهرة" وبحيرات "الفيوم" الى الجنوب الغربي من العاصمة على ان تقلع هذه الطائرة به واثنين من الطيارين هما حسين ذو الفقار صبري (شقيق علي صبري) وحسن عزت الى "بيروت" حيث يمكن السفر من هناك، وبسهولة الى العاصمة العراقية اذ كانت سوريا ولبنان تحت سيطرة حكومة "فيشي" الموالية للالمان.

ما الذي حدث؟

عند هذه المرحلة، تختلف الروايات بيد انها تجمع على ان الفريق وزميليه قد غادروا "القاهرة" سرا الى مكان اللقاء المنتظر وان كانت عيون المخابرات غير بعيدة عن ملاحقتهم .. تقول احدى هذه الروايات ان السيارة التي كانت تقل الثلاثة اصيبت بعطب مفاجئ تعذر معه اصلاحها في الوقت المناسب الى ان وصلت قوة من الجيش البريطاني والقت القبض عليهم واعادتهم الى "القاهرة". اما الرواية الثانية فتفيد بان الدليل الذي كان يفترض ان يقودهم الى مكان الطائرة لم يظهر مطلقا ولا يعرف احد سببا لذلك حتى الان غير ان الرواية الثالثة والاخيرة والتي ايدها الفريق نفسه، تفيد بانهم استطاعوا فعلا الوصول الى موقع الانطلاق ولكن ليجدوا ان الطائرة غير موجودة وان رجال المباحث من الانكليز والمصريين كانوا بانتظارهم.

اعتراف صريح

وفي غضون المحاكمة التي جرت امام هيئة عسكرية خاصة، اعتراف "المصري" وزميلاه بانهم كانوا ينوون التوجه الى العراق وعندما وجه اليه سؤال عن السبب في ذلك قال: "اردت تقديم المشورة العسكرية الى حكومة رشيد عالي".

وبعد ايام من المرافعات ، صدر على الثلاثة الحكم بالسجن لفترات متفاوتة "بعد ثبوت تآمرهم على امن الدولة" بيد انهم لم يمكثوا طويلا، اذا ادى الضغط الشعبي الى الافراج عنهم عام ١٩٤٢ بشرط "عدم اشتراكهم في انشطة هدامة اخرى" وهو امر لم يتحقق اذا استمرت صلة الفريق بالضباط الذين تولوا تفجير ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢. وتقديرا من هؤلاء له، تقرر تعيينه بمنصب اول سفير لمصر في الاتحاد السوفيتي بعد نجاح الثورة.

مجلة الف باء 1981

المصري (الوسط) في غضون محاكمته ويبدو السياسي المعروف فتحي رضوان الذي تولى الدفاع عنه الى يمينه

الورديون: هل ينتسبون الى الاسد؟ ام الى ماء الورد؟

وردت في التراجم والسير، وفي كتب التراث والادب، اسماء اشخاص تلقبوا بـ (الورد) او (الوردي) او (ابي الورد) منهم:

١- عروة بن الورد (ت ٣٠ ق هـ) من شعراء الجاهلية وفرسانها واجوادها، وكان يلقب بـ (عروة الصعاليك) لمصاحبته لهم واهتماهم باحوالهم.

٢- عمر بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) الشاعر المؤرخ، ولد بمعرة النعمان، وتوفي بحلب، ولي قضاء منبج (محافظة حلب)، له (تتمة البشر في احوال المختصر) ، تنسب له اللامية المشهورة التي ينصح بها ولده:

اعتزل ذكر الاغاني والغزل
وقال الفصل، وجانب من هزل

ومنها:

في ازدياد العلم ارغام العدا
وجمال العلم، اصلاح العمل

٣- ورد بن سعد، المعروف (بابي العذافر) ت ٢٢٠ هـ، وهو شاعر مشهور من اهل البصرة.

٤- ابن الوردي، سراج الدين بن عمر – جغرافي عربي له (فريدة العجائب وفريدة الغرائب).. وغيرهم

×××

اما الورديون العراقيون فيشكلون اسرة عراقية معروفة، اشتهرت باسم (آل الورد) تنتمي الى السيد هاشم، المعروف بابي الورد البغدادي، كانوا يسكنون الكرخ، ثم انتقل بعضهم الى احدى قرى الدجيل تسمى "الغواضر" وسكنت بعض ذراريهم مدينة بلد، وفي الكاظمية.

لحقت بهم هذه التسمية بسبب استقطارهم للورد للحصول على مائه وبيعه في الاسواق حيث هو من بعض تجارة الاباء والاجداد، او لانهم اشتهروا بالقوة والحيوية كالاسد الذي يعرف ايضا بالورد وباسماء عديدة، الا ان هذا تعليل ضعيف.

ولذلك اختلفت آل ابي الورد في اللقب، فمنهم من عرف بالوردي ومنهم من اشتهر بالورد، وبعضهم يكنى بابي الورد، والذين يحملون اسم (علي الوردي) اسما ولقبا في ان واحد، يتجاوزون العشرة، ثمانية منهم مازالوا على قيد الحياة – حتى كتابة هذه السطور، وقد تعرضوا بسبب هذه التسمية الواحدة، الى اشكالات وملابسات، بعضها عائلي، وبعضها غير عائلي، كاد بعضها يتفاقم، الا انها كانت تحل بسلام، ولذلك لجأ عدد منهم الى وضع اسم ابيه بين اسمه ولقبه، وهؤلاء الثمانية هم:

١- الدكتور علي الوردي (ابو احسان) وهو شيخ الورديين واشهرهم والمعهم صيتا، واسمه الكامل: (علي حسين بز محسن هاشم) تخرج في احدى الجامعات الامريكية، وتخصص بعلم الاجتماع، وشغف بفكر ابن خلدون، له مكانته المرموقة في الاوساط الجامعية والثقافية، وكان والده من الصاغة المعدودين في الكاظمية.

٢- علي (جليل) الوردي – الشاعر والفنان، خريج كلية الحقوق، ومعهد الفنون الجميلة (فرع التمثيل والادب المسرحي)، مفتش مالي سابق، حاليا متقاعد، مارس صياغة الذهب ايضا.

٣- علي (مهدي) الوردي – وهو صائغ معروف ايضا.

٤- علي (زكي) الوردي – موظف.

٥- علي (حسين) الوردي – معلم متقاعد.

٦- علي الوردي – اسطة بناء

٧- علي (حسين) الوردي ايضا – خريج علوم باثيولوجي

٨- علي (جعفر) الوردي – مهندس مدني.

وفارق الحياة اثنان ممن تسمى بـ (علي الوردي) هما:

١- علي (امين) الوردي – والد كل من الطبيب حسين علي الوردي، والدكتور – في الاقتصاد – سليم علي الوردي.

٢- علي (هاشم) الوردي – المحامي، وابن عم الدكتور علي الوردي (الكبير).

وهناك من آل الورد من غير هؤلاء:

جواد امين الورد – المربي المعروف اللغوي الشاعر صاحب المؤلفات العديدة.

باقر امين الورد – الباحث ومؤلف كتاب (اعلام العراق الحديث) الذي ظهر جزؤه الاول سنة ١٩٧٨ ولم تظهر الاجزاء الاخرى حتى الان.

حمودي الوردي – الفنان وصاحب المؤلفات العديدة، الذي وضع للاغاني العراقية القديمة (نوتات) موسيقية ، حفظتها من الضياع والاندثار.

مرتضى الورد – الخطاط المعروف ، الذي نوهت بفنه صحفنا المحلية واشادت بلوحاته وابتكاراته.

ان آل الورد، عرفوا عموما، بالطيبة والاستقلالية وحب العام والعمل.

العراق ١٩٨٨/١٢/٢١

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون